6 me Année, No. 266

Lundi - 8 - 8 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة

السنة السادسة «القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — ٨ أغسطس سنة ١٩٣٨» العــــدد ٢٦٦

الفهــــرس

بقيــــة المذهب

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى مقالى السابق «فنطازتين» قلت رأيى فى الجسم الجميل وهو «الجسم الذى لا فضول فيه ، والجسم الذى تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه ، غير محمول على سواه»

ومن الواجب فى هذا المقال أن أذكر أن الجسم الجميل غير الجسم اللذيذ وغير الجسم الصحيح وغير الجسم القوى وغير الجسم النافع ، لأن الجسم قد يكون نافعاً أو قوياً أو صحيحاً أو لذيذاً ، وهو فى كل ذلك غير جميل

قيل لبعض الحكماء : إن فلانة كبيرة البطن ضخمة الثدى فقال : «نعم ، حتى تدفئ الضجيع وتروى الرضيع» ... فهذا وصف صادق للجسم النافع ولكنه لا يستلزم جمال الجسم الموصوف، كما يقال إن هذا الكساء يدفئ صاحبه و «يعيش» سنوات ولا يستلزم ذلك جماله فيما يكون به جمال الكساء

نعم ويجب أن نذكر للذين يخرجون من «درس الألفية» ليفصلوا فى مذاهب الجمال أن المرجع فى هذه الآراء لن يكون إلى أعرابى تقضى حياته فى بادية جرداء وفى جاهلية عمياء ، وإنما

يكون إلى أناس سلمت لهم محاسن الأذواق ودرسوا فلسفة الجمال وأصلحوا مثات من الأجسام الجميلة وفاقاً لعلم الصحة وفن الرياضة البدنية وأساليب التحسين والتقويم المتخذة فى معاهد التطرية والتنسيق ، واستعانة بأصول التشريح وأصول التلوين والتظليل ، وتجارب التاريخ التى عرضت عليهم صنوفاً من الشمائل الانسانية فى كل أمة خلقها الله

***

لقد وصف بعض الأعراب نساء « محبوبات » فاستملحوا الضخامة ومدحوا الكسل وبطء الحراك، وافتتن أميرهم بعذارى قال فى وصفهن ما يقال فى وصف الفيلان :

وظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

نعوذ بالله !

فإن كان هـذا وأشباهه وصفاً لشىء فهو وصف للجسم الشهى أو الجسم اللذيذ ، وليس بوصف للجسم الجميل على اعتبار الجمال معنى من المعانى التى تقاس بالادراك ، كما يقاس معنى البيت البليغ ، ومعنى الصورة البارعة، ومعنى التمثال المتقن، ومعنى الخيال المجرد ، ومعنى الحلم البعيد

والرجال فى تفضيل الجسم الشهى أو الجسم اللذيذ مذهبان مختلفان:

رجل عنده عادة الاستحسان كعادة التدخين ، فهو يألف طرازاً واحداً من « المرأة » كما يألف المدخن لفيفته المعهودة ، فلا يغيرها ولو كان الخلاف بينها وبين غيرها كالخلاف بين علامة « الجمل » فى التبغ الأمريكى وعلامة « الخلطة السعيدة » وهما من أصل واحد

هذا الرجل إذا استحسن المرأة الطويلة لم تعجبه القصيرة ولو كانت لها ملاحة ونضارة ومتعة وحلاوة

وإذا استحسن السمراء لم تعجبه البيضاء ، أو استحسن بنت العشرين لم تعجبه بنت الثلاثين ، أو استحسن المصرية لم تعجبه الانجليزية أو الروسية ، وهما معجبتان

هذا مذهب

والمذهب الآخر مذهب رجل يستحسن النساء كما يستحسن الفاكهة ، أو كما يستحسن صحاف الطعام ، والمعول على صناعة الطاهى وغواية الأوان !

فالتفاح مقبول، والبرقوق كذلك مقبول ، والتين لا يرفض، والجبز لا يعاف ، والشواء مستطاب، والسمك المملح له وقت يجوز اشتهاؤه فيه

ومن المعقول أن يشتهى أعرابى من الأعراب امرأة سمينة موفورة الشحم واللحم قليلة الحركة نؤوم الضحى كما يقولون ، فإنما عاش الأعراب فى صحراء يسوّمون فيها الناقة بمقدار ما عليها من لحوم وشحوم ، ويكبرون فيهـا الأغنياء بمقدار ما يأكلون من سمن ولبن ودهون ، ويقال فيها إن فلاناً يملأ جوف امرأته بمـا يسمنها ويقعدها عن الحركة فيحسبون ذلك غاية العزة والفخار، وذروة النعمة واليسار

أما نحن فى عصرنا هـذا الذى تتحرك فيه المرأة لتلعب فى ميدان الكرة والصولجان إن لم تتحرك لتخدم نفسها وذويها فى بيتها ، والذى تعددت فيه مظاهر الغنى فلا يحسب فيه امتلاء الجوف بالطعام عنوان وفر وثراء ، ولا تحسب فيه الناقة ولا ألبانها « وحدة المعاملة » فى الأسواق . . .

أما نحن فى هذا العصر فما حاجتنا إلى اقتداء بذلك الأعرابى فيما استملح واستطاب ، ومالنا ولفيلانه وعذاراه ، أصلحه الله وأشبعه ورواه !

وما بالنا نقتدى به ولا نقتدى باخوانه الذين عرفوا ملاحة الهيف والرشاقة وتجملوا تارة بجمال الفطرة ، وتارة أخرى بجمال الحضارة ؟

أذكر أننى نظمت قصيدة فى شتاء أسوان يوم كانت تزدحم بالوافدين والوافدات من آفاق المغرب والمشرق ، فشببت فيها بالعين الزرقاء والشعر الأصفر والوجه الأزهر . . . فعابها ناقدون يقرأون الألفية ويحكمون على الآداب والفنون ومذاهب الجمال ، وقالوا : يارعاك الله ! متى كان الشعر الأصفر مما يستملح فى القصائد العربية ؟ ومتى كانت زرقة العينين مما يحمد فيه الغزل والتشبيه ؟

وكنت أقول لهم يومئذ : إننى إن زعمت أن حسان أوربا سود العيون والشعور كذبت على الحقيقة

وإن زعمت أنهن زرق العيون مذهبات الشعور ولكنهن

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

١ — مجرد

لقيته في مكتبة كان من عادتي أني أرتادها كل يوم فألبث فيها ساعة أو نحوها كما يرتادها غيري من المشتغلين بالأدب والواغلين عليه، ومن أهل العلم والأدعياء فيه، فيقلبون المكتبة إلى نادٍ أدبي، أو قاعة للجدل والمناظرة، فلا يكون حظ صاحبها المسكين من تجارته إلا الكلام، تبتلى به أذناه، وجيبه من المال خالٍ ... وهل عاش قط وراق على أديب؟ ومتى كان عند الأدباء مال حتى يشتروا؟ إن الناس بين رجلين: رجل يحب الكتب ولكنه لا يجد ما يشتريها به، ورجل عنده مال ولكنه لا يحب الكتب. فيابؤس الوراقين بين هذين الرجلين!

لقيته ولم يكن لي شرف معرفته، فنسبوه إليّ وعرفوني به: (الأستاذ فلان) فقلت الكلمة التي يضطرني النفاق الاجتماعي إليها: «تشرفنا» كأننا كنا قبل لقائه على غير شرف ... وانتظرت منه أن يتكلم لأضعه في منزلته؛ وقديماً قال من لست أدري من هو: «إنك لا تعرف منزلة الرجل حتى يتكلم، فإذا تكلم رفعته أو وضعته» أو ما هذا معناه فما أحفظ الكلمة على أصلها ... ولم يطل الرجل بحمد الله انتظاري، وراح يلقي كلاماً أقرّ على نفسي بأني لم أفهم منه حرفاً، اللهم إلا كلمات تتردد فيه لها في أفرادها معان، وليس لها في جملتها معنى، من أمثال: «الوعي الطبقي» و «التقدمية واللاتقدمية»، وطفق يسرد أسماء أفرنجية لها أول وليس لها آخر، ثم قفز قفزة إلى التاريخ، فعاب علينا أننا نكتب في التاريخ، ونؤلف الكتب عن أبي بكر وعمر، وساق في ذلك كلاماً على نحو كلامه الأول، ثم جاء بالطامة فقال بأن سورة (الناس) ليس فيها من بلاغة القول شيء، وزعم أن كاتباً من أبلغ كتاب العربية في هذا العصر (ذهب مغفوراً له) قال: لو أن تلميذاً كتبها لي في امتحانه لأعطيته الصفر[1]...

فلم أعد أطيق على وقاحته وجهالته صبراً. وللمرء أن يتكلم في الأدب أو في النقد، ويطيل أو يقصر، ويعرض جهله أو علمه، وسفاهته أو تهذيبه، فالناس يميزون الخبيث من الطيب ويعرفون الحق من الباطل؛ وما كل من قال كلاماً كان بليغاً، ولا كل من أمسك بقلم ونشر كلاماً في مجلة، كان ناقداً أو كاتباً ... أما أن يتكلم امرؤ في الدين بلا علم ولا هدى، وبغير بينة ولا دليل فلا ... ثم لا!

تركته يوقد نار حماسته في كذبه، حتى إذا ظنها استحالت جمرة متقدة ألقيت عليها دلو ماء فقلت له:

— هل تسمح يا سيدي بسؤال: كيف عرفت أن سورة (الناس) ليس فيها من البلاغة شيء، مع أن علماء هذا الفن ومن هم المرجع فيه والحجة قالوا غير ما تقول؟

قال: لأن للبحتري شعراً لا شك (عندي) أنه أبلغ منها

قلت: أئن كان للبحتري شعر أبلغ من شعر المعري مثلا كان شعر المعري خالياً من البلاغة؟ ثم من قال لك إن شعر البحتري أبلغ من سورة الناس؟

(1) وذلك كذب على الكاتب رحمه الله، لأن من يقول هذه الكلمة لا يكون كاتبا ولا أديبا ولا شم رائحة الأدب ...

دميات محنويات كذبت على نفسي وعلى الله ... فكيف تريدونني أن أقول؟

صفقة على القفا، علت الآن، أجدى في مناقضة أولئك «الآدميين» من كل ذلك النقاش والحوار

***

قال ابن أبي ربيعة:

ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

وقال المثل المصري: «من أعجبه جسمه عرّاه، ومن أعجبه صوته علاّه»

ورأينا نحن مصداق هذا وذاك على شاطئ الاسكندرية، ولا نزال نراه في كل معرض جمال

فهنا لا تلبس المرأة شيئاً ولا تخلع شيئاً إلا لتبدي حسناً وتستر عيباً. وهنا بحر زاخر لمن ينظرون على مذهب التدخين، ومن ينظرون على مذهب الفاكهة والطعام، ومن ينظرون على مذهب الجسم الجميل كما بيناه، رفيعاً جداً فوق مذهب المدخنين ومذهب الآكلين، ورفيعاً جداً فوق مذهب الجسم النافع والجسم اللذيذ.

عباس محمود العقاد

قال : لأن البلاغة فيه أظهر !

قلت : ما هي البلاغة (عندك) ؟

قال : هي أن يكون الكلام بليغاً ...

فكان الضحك عاماً مجلجلا !

***

ولقيت هذا المجدد كرة أخرى فلم يقل شيئاً ، لأنه قال كل ما يحفظ في المرة الأولى ، ثم لم ألقه بعد أبداً !

٢ — أوربي

فلان ... من أسرة دمشقية أصيلة ، ولكنه أقام في أوربة سنين عايش فيها القوم ، فظن أنه حين أساغ في حلقه طعامهم ، وأدار في فمه لسانهم ، قد صب في عروقه دماً من دمائهم ، ووضع في رأسه دماغاً من أدمغتهم ، فاستقر في رأسه أنه أوربي ولكن النطفة أخطأت طريقها فكانت شرقية فلما عاد من أوربة ودخل علينا — وكنا يومئذ تلاميذ وكان هو أستاذنا — استقبلناه استقبال التلاميذ المخلصين أستاذهم الذي غاب عنهم سنين بعد ما اتصل حبله بحبالهم وأحبوه وأحبهم ورحبنا به فنظر إلينا نظر المنكر ، وقلب شفتيه اشمئزازاً(١) ولوح بيديه على طريقة أهل باريس ، وقال لنا بالفرنسية (ما ترجمته بالحرف) :

— ما هذا ؟ أهكذا يكون الاستقبال ؟ إنكم يا أهل الشرق لا تتمدنون أبداً . ولقد رأيت اليوم ما كنت أسمعه ... فياليتني لم أسافر إلى الشرق !

« دمشق » علي الطنطاوي

(١) وفي العربية كلة (أدلم) إن اصطلح عليها دلت على هذا المعنى

في مصر الإسلامية

سـيـاسة العرب المالية في مصر

للدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

كان الوالي يُعيَّن من قبل الخليفة لينوب عنه في حكم البلاد ، وهو الرئيس الأعلى للقضاء والصلاة والخراج والجند والشرطة وما إليها من مهام الدولة . وكان يستعين في إدارة البلاد بطائفة من كبار الموظفين وأهمهم ثلاثة : عامل الخراج أو صاحب بيت المال ، والقاضي ، والقائد أو صاحب الشرطة . وكانت وظيفة الخراج أهم هذه الوظائف الثلاث

وكان الوالي يحتفظ بها لنفسه ؛ وربما أسندها الخليفة إلى رجل من قبله فيعمل هذا مع الوالي جنباً إلى جنب : هذا يدير دفة السياسة . وذاك يتولى أعمال الدولة المالية . فكان بمثابة الرقيب على أعمال الوالي ، فكأنّ مصر إذ ذاك كان يحكمها واليان من قبل الخليفة مما أدى إلى تنازع السلطة والمنافسة بين الرجلين : وذلك مما يعلل قصر عهد الولاة وعمال الخراج ، وبهذا خسرت مصر تحت حكمهما أكثر مما كانت ترجوه من التقدم في سبيل الاصلاح .

كان القضاء والصلاة من الأمور الجوهرية التي تناولها هذا التغيير في النظم الادارية في عهد الاسلام لارتباطهما ارتباطاً وثيقاً بالدين ، وهو مصدر الحكم في الاسلام .

أما عن الخراج فقد سار عمرو بن العاص مع المصريين بمقتضى شروط الصلح من حيث تقسيم الجباية ومراعاة حال النيل في النقصان والزيادة مما اضطره أحياناً إلى تأخير الخراج على الرغم مما اشتهر عن عمر بن الخطاب من التشدد في دفعه . ذلك أن عمرا حين جبى خراج مصر في السنة الأولى من ولايته عشرة ملايين دينار لم يعجب ذلك عُمر ، بل ولم يعجبه أيضاً ما كان من نقصان الخراج إلى اثني عشر مليوناً في السنة التالية ، وذلك

لما بلغ الخليفة من أن الخراج وصل فى عهد المقوقس إلى عشرين مليوناً وأكثر ، وجعله بعض المؤرخين ٢٤ر٤٠٠ر٠٠٠ دينار فى عهد الفراعنة ، وبالغ بعضهم فجعله فى زمن الريان بن الوليد (وهو فرعون يوسف) ٩٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دينار [1] ، فلا غرابة إذا عجب عمر من أن البلاد لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه إن صح أن مصر كانت تؤدى هذا المقدار قبل الاسلام . على أن عمر إنما أراد بتشدده وتمسكه أن يحلب البلاد حلباً ويقطع درها بخلاف ما كان يتوخاه عمرو بن العاص من مراعاة حال البلاد من شدة ورخاء [2]

وقد لغط المؤرخون فى مقدار الخراج ، وقصره بعضهم على جزية الرءوس التى كان مفروضاً أداؤها على أهل الذمة من القبط وغيرهم لأن الخراج فى عهد الاسلام كان من ناحيتين (الأولى) الضرائب الشخصية المعروفة بالجزية أو جزية الرءوس (والثانية) ضرائب الأطيان ، ومجموع هذين يعرف بالخراج [3]

على أن قصر بعض المؤرخين الخراج على جزية الرءوس مع خطئه يجعل الاهتداء إلى معرفة عدد سكان مصر وقت الفتح أمراً مستحيلاً ، ناهيك بما هنالك من الاختلاف الكبير بين روايتى ابن عبد الحكم (٢٧٦ هـ = ٨٧١ م) وهو أقدم مؤرخى مصر الاسلامية والبلاذرى (٢٩٠ هـ = ٨٩٢ م) وهو من معاصرى ابن عبد الحكم

وقد ذكر ابن عبد الحكم [4] أن عدد من ضربت عليهم

(١) نقل المقريزى (خطط ج ١ ص ٧٠) عن الشريف الحرانى أنه وجد فى بعض البرابى فى الصعيد عبارة باللغة القبطية نقلت إلى العربية ومنها يتضح أن الخراج بلغ فى عهد الريان بن الوليد ٢٤ر٤٠٠ر٠٠٠ دينار ، وهو أقرب إلى المعقول

(٢) أنظر المكاتبات التى دارت بين عمرو وعمر بشأن الخراج فى خطط المقريزى (ج ١ ص ٧٨ — ٧٩) على أن غضب عمر كان راجعاً أكثره إلى تأجيل عمرو إرسال الخراج إلى المدينة كما يظهر من قول عمرو « ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم »

(٣) شرح هذا يحيى بن سعيد الأنطاكى (٤٠٨ هـ ، ١٠٦٦ م) فى كتابه « ذيل التاريخ ، المجموع على التحقيق والتصديق » لمؤلفه أوتيخا أو سعيد بن البطريق (٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م) وزاد ابن سعيد فشرح النوع الثانى بأنه جزية جملة تكون على أهل القرية وهذا يعلل ما ذكره المقريزى (خطط ج ١ ص ٧٧) أن جزية الجملة كانت تؤخذ على أهل القرية من مزارعين وأرباب الحرف والصنائع

(٤) كتاب فتوح مصر ص ٧٨

الجزية من المصريين فى عهد عمرو ثمانية ملايين [1] عدا الصبيان والنساء والشيوخ ، ولو بلغ عدد من ضربت عليهم الجزية رُبع سكان البلاد لكان أهل مصر طبقاً لهذا التقدير اثنين وثلاثين مليوناً من النفوس . وهذا بعيد التصديق ، إذ لو كان هذا العدد صحيحاً لبلغت جزية الرءوس وحدها ستة عشر مليون دينار وهو يخالف ما أجمع عليه المؤرخون من أن خراج مصر بنوعيه لم يزد فى السنة الأولى من ولاية عمرو على عشرة ملايين ، ولم يزد فى السنة التالية على اثنى عشر مليوناً . كذلك روى البلاذرى أن عمرا فرض على كل مصرى عدا النساء والصبيان والشيوخ دينارين فبلغ خراج مصر (بما فيه جزية الرءوس) مليونى دينار ، فاذا خصصنا لجزية الرءوس مليوناً اقتضى أن يكون عدد من فرضت عليهم الجزية خمسمائة ألف نسمة ، وعلى هذا القياس لا يزيد سكان مصر على مليونى نسمة

هذا ولم يكن للخراج نظام ثابت ، فكانت ضريبة الأطيان تقل وتكثر حسب الاهتمام بالتعمير وإصلاح الجسور والخلجان [2] ونحوها ، كما أن جزية الرءوس كانت تتناقص بالتوالى لدخول أهل مصر فى الاسلام ، إما رغبة فى اعتناق هذا الدين ، أو فراراً من دفع الجزية . وقد رأى بعض العمال عدم دفع الجزية عمن أسلم . يدلك على ذلك كتاب والى مصر إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يشكو إليه من أن الاسلام أضرّ بالجزية ويسأله أن يأمر بفرضها على من أسلم ، فما كان من عمر إلا أن كتب إليه كتابه المأثور ، وفيه يقول « ... فضع الجزية عمن أسلم — قبح الله رأيك — فان الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ، ولم يبعثه جابياً . ولعمرى لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم فى الاسلام على يديه » ، وعلى الجملة فقد كانت سياسة الخلفاء ترمى إلى الاكثار من الخراج حتى إن بعضهم لم يأبه بما حلّ بالأهلين من شراهة العمال الذين عملوا على إرضاء الخليفة ، الذى كان رضاؤه متوقفاً

(١) ذكر المؤرخ ستانلى لين پول أن هذا العدد هو ثمانية ملايين دينار واستدل منه على أن عدد من ضربت عليه جزية الرءوس بلغ أربعة ملايين (بفريضة دينار عن كل شخص) واستنبط أن سكان مصر فى ذلك الوقت كانوا ستة عشر مليون نسمة ، وهذا يخالف ما يقصده ابن عبد الحكم فى (فتوح البلدان ص ٢٢٣) الذى استق منه لين بول هذه العبارة كما يظهر

(٢) كان إصلاح الجسور والخلجان مفروضاً على الأهالى ، وكان يقوم بذلك ١٢٠ر٠٠٠ نسمة لا يفترون عن العمل صيفاً ولا شتاء

على تأدية الخراج ، وعلى سدّ جشعهم فى جمع الثروة الضخمة حتى لا تعوزهم الحاجة بعد عزلهم ، الذى كانوا يترقبونه فى كل وقت ؛ مما أدى فى كثير من الأحيان إلى انتقاض الأمة ، وقيام الثورات فى عهد بنى أمية وبنى العباس . وليس أدلّ على عناية الخلفاء بإكثار الخراج من أن عبدالله بن سعد بن أبى سرح لما جبى خراج مصر وبلغ ١٤,٠٠٠,٠٠٠ دينار بعد أن جباه عمرو ١٢,٠٠٠,٠٠٠ دينار ، عيّر عثمان بن عفان عمرا بقوله : « إن اللقاح بعدك درّت ألبانها » فأجابه عمرو « .. لأنكم أعجفتموها » مما يدلّ على أن سياسة الخلفاء نحو جباية الخراج كانت تميل إلى الشدّة ، وعلى الأخص فى عهد بنى أمية وبنى العباس ، على أن خراج هذه البلاد أخذ يقلّ بعد عمرو وابن أبى سرح حتى إنه لم يبلغ زمن الأمويين والعباسيين ثلاثة ملايين[1] إلا مرات معدودات حتى اضطر بعض الولاة إلى وضع الجزية على من أسلم

حسن إبراهيم حسن

(١) يظهر من أقوال المقريزى (خطط : ج ١ ص ٩٩ — ١٠٠) أن الخراج فى هذه المدة كان جلهُ — إن لم يكن كله — عبارة عن ضرائب الأطيان ، فقد بلغ فى عهد هشام بن عبد الملك أربعة ملايين ، وفى خلافة سليمان بن عبد الملك اثنى عشر مليوناً ، وفى عهد ابن طولون أربعة ملايين وثلثمائة ألف دينار ، وبلغ فى عهد خمارويه بن أحمد بن طولون أربعة ملايين

حظي بالشيء ...

لأستاذ جليل

الرافعي ، المجمع اللغوى ، أزهرى المنصورة ، اليازجى ... ...

— ٣ —

ردّ الأستاذ الرافعي (رحمه الله) فى (البلاغ ٢٨ شوال ١٣٥٢) على الأستاذ أزهرى المنصورة (البلاغ ٢٦ شوال ١٣٥٢) فقال :

« عاد الفاضل أزهرى المنصورة إلى هذا الفعل وجاءنا بدليلين آخرين من استعماله فتمت حججه أربعا أحصاها هو بقوله : (١) — أوردنا بيت الحماسة .. (٢) — وجئنا بكلام الأساس .. (٣) — وجاء فى نهج البلاغة : (وحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون)

(٤) — وجاء فى مقامات الحريرى : (نهضا وقد حظيا بدينارين)

وعجيب جداً أننا لم نجد أحداً يتنبه إلى مدار الحجة أو يفطن إلى وجه النقد . على أننا أومأنا إلى شيء ، وعرضنا بشيء ، وقلنا : إن لهذا الفعل (حظى) تاريخاً اجتماعياً وأن هذا التاريخ هو الذى يمين للكلمة ظاهرها الظاهر وباطنها الباطن . وكان فى هذا كاف أن يدرك من يدرك أن فى اللغة ألفاظاً أخذت من معنى بعينه ، ولا يستعمل إلا فيما هو بسبب من هذا المعنى

أما بيت الحماسة فقد قلنا إن حظى فيه مضمنة معنى (ظفر) فهى هذه لا تلك وبطل الاستدلال بالبيت . ونقول مثل هذا فى كلمة الحريرى وإن كان الشريشى قد فسرها بمعنى (سعد) وهو المعنى العامى الذى شاع به الكلام فى العصور المتأخرة . فيقولون : حظينا بلقاء فلان ، وحظينا بتشريف فلان . وأكثر ما كان هذا الاستعمال فى البلاد التى بسفها الحكم التركى ، ولهذا كانت فاشية فى سوريا[1] حتى لا عامى ولا خاصى هناك إلا وهى فى لسانه وبخاصة الجرائد

وأما كلام صاحب الأساس فقد قلنا إنه من دليلنا لا من دليل المجمع ونحن على هذا الرأى

وأما عبارة نهج البلاغة فهى الآن محل القول ، وسنرفع عليها مصباحاً من مصابيح علاء الدين ليتبين الأزهري والمجمع بنوره الساطع كيف وقعت (حظى) من العبارة فى أحسن مواقعها ، وقامت فى الكلام على رجليها لا على أصابعها !

يقول الامام : (وحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون) فالجملة الأولى مقيسة على الثانية فى الاستعمال إذ الأصل هو ما حظى المترفون به ثم أخذت منه حظوة الآخرين الذين أشبهوهم : فماذا يحظى المترفون ومن هم ؟ جواب هذا فى قوله تعالى : (واتّبع الذين ظلموا ما أُترِفوا فيه[2]) وقوله : (وأخذنا مُترفيهم

(١) قلت : جاءت (ســورية) فى المطبوع فى الجريدة بالالف وفى (القاموس) : « سورية مضمومة مخففة اسم للشام » وفى الطبرى ومعجم البلدان وتاريخ آداب العرب الصفحة ٣٥ للأستاذ الرافعى (رحمه الله) مثل ذلك

(٢) قلت : وبقية القول الكريم : (وكانوا مجرمين) وفى (الكشاف) : قرأ أبو عمرو : (واتبع الذين ظلموا) يعنى واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه — اتبع : على وزن افعل ، وبالبناء لما لم يسم فاعله — ويجوز أن يكون المعنى فى القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء اترافهم ، وهــذا معنى قوى لتقدم الانجاء

بالعذاب[1]) وقوله : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا[2] مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً)

والآن فلنطفئ مصباح علاء الدين فان لم يكن المنى الذى ترى إليه قد انكشف ففى مقالة أخرى سنستمير مصباحاً كشافاً من الأسطول البريطانى »

قلت : فى هذا التفسير تمحُّق ، وهذه هي الجمل التى وردت قبل عبارة (الحظوة) وبعدها ، وفيها البيان الكشاف :

« إن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فشاركوا أهل الدنيا فى دنياهم ، ولم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم ، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بأفضل ما أكلت ، فحظوا من الدنيا بمـا حظى به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون ، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح ، أصابوا لذة زهد الدنيا فى دنياهم ، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً فى آخرتهم[3] »

وقال الأستاذ الرافعى (رحمه الله : « ثم قال الأزهري : لم يقل أحد قولا فى (حظى بالشىء) إلا العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى فى هذا الزمان ، ثم ذكر انتقاد اليازجى استعمال شاعرنا حافظ ابرهيم فى ترجمة البؤساء قال : (فلاقاه بعد أيام حجة الاسلام السيد رشيد رضا فقال له — وقد سمعنا قوله — يا شيخ يا شيخ إن الذى خطأته من كلام حافظ ابرهيم هو فى أول صحيح البخارى قال : فبهت الشيخ وترك السيد وهو كاسف البال)

وترى ما الذى فهم القراء من هذا ؟ وما هو الذى يُعد من كلام حافظ ابراهيم وفى صحيح البخارى فى وقت معا ؟

لا بأس أن نفيد قراء (البلاغ) فائدة وأن نصحح لحضرة أزهرى ، فان اليازجى لم ينتقد (حظى بالشىء) كما زعم ، وإنما انتقد استعمال المصدر قال : (ويقولون الحظوى وإنما هى الحظوة) بالهاء ولم يزد على ذلك . ومما أخذ به حافظ فى ترجمة البؤساء أنه يتكلف فى الاستعمال وعد من ذلك قوله : (كأنى أسمع صوتا يقطر منه الدم) قال : وقطران الدم من الصوت مما لا تأنس به الأفهام . وهذه هى العبارة الواردة فى البخارى ولكن حافظ (رحمه الله) لم يأخذها من البخارى وإنما سلخها من (الأغانى) وقد سار[1] شيطانه بعد انتقاد اليازجى ، فلقى بعض أصدقائه فقال له بالحرف : (اليازجى غير مطلع فى العربية)

قال الصديق : ولماذا ؟

قال : انه عاب علىّ : (اسمع صوتا يقطر منه الدم) مع أن العبارة فى الأغانى

قال صديقه : ياحافظ ، اتق الله ، لأن يقول الشيخ : إن فى العبارة مجازا بعيـدا خير لك من أن يقول : انك سرقتها من الأغانى ...

أما هل أخطأ اليازجى أو حافظ فهذا كلام آخر)

قلت : ومما نقده الشيخ اليازجى في (البؤساء) : « لخرجت ربة المنزل بالصمت عن لا ونعم أى لم تقل لا ولا نعم ، ومن هذا القبيل : أحل له ضبّ الضغن . على أن الضب والضغن شىء واحد وكلاهما بمعنى الحقد »

ولم يحك لنا (صديق حافظ) قوله فى نقـد اليازجى هاتين العبارتين فحالها كحال ذاك (الصوت) والقياس يدل أن هناك ثورة وسورة وقولا ...

وقد غزا حافظ فى الأولى بشارا :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ... ونفى عنى الكرى طيفٌ ألم
وإذا قلت لها : جودى لنـا ... خرجت بالصمت عن لا ونعم

وأغار فى الثانية على ربيعة بن مقروم :

وكم من حامل لى ضبّ ضغن ... بعيد قلبه ، حلو اللسان

(١) هذا هو المطبوع في الجريدة والآية الكريمة : « حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذاهم يجأرون »

(٢) (أمرناهم) من الأمر ، وقيل : أمر مثل آمر أى كثر أو أكثر ، وقرئ : أمّرناهم ـ بتشديد الميم أي جعلناهم امراء وسلطناهم

(٣) قال شارح النهج (ابن أبى الحديد) : « ثم ذكر حال الزهـاد فقال : أخذوا من الدنيا بنصيب قوى ، وتعجلت لهم الآخرة . ويروى أن الفضل بن عياض كان هو ورفيق له فى بعض الصحارى فأكلا كسرة يابسة ، واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران ، وقام الفضيل فخط رجليه فى الماء ، فوجد برده ، فالتذبه وبالحال التى هو فيها . فقال لرفيقه : لو علم المـلوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا »

ولسيد المصريين وإمام المسلمين (الشيخ محمد عبده) ـ رضى الله عنه ـ في شرح قول النهج كلام حسن : « إن المتقى يؤدى حق الله وحقوق العباد ، ويتلذذ بما أتاه الله من النعمة ، وينفق ما له فيما يرفع شأنه ، ويعلى كلمته ، فيعيش سعيداً مترفاً كما عاش الجبابرة ثم ينقلب بالزاد وهو الأجر الذى يبلغه سعادة الآخرة جزاء على رعاية حق نفسه ومنفعتهـا الصحيحة فيما أوتي من الدنيا ، وهو بهذا يكون زاهدا فى الدنيا وهى مغدقة عليه

(١) سار : غضب ، السورة : : الحدة (المصباح) ومن المجاز : سار الشراب فى راسه (الأساس)

قال التبريزي في (شرح الحماسة) : « الضب الحقد . وأضافه إلى الضغن لأن الضغن العسر ، [1] فكأنه حقد عسر » وغزوات حافظ البريطانية الايطالية الفرنسية ... وغاراته التركية ... في (بؤسائه ولياليه) تخبرنا أنه خليفة سعيد بن حميد في هذا العصر قال ابن النديم في (الفهرست) : « سعيد بن حميد كاتب شاعر مترسل عذب الألفاظ ، مقدم في صناعته ، جيد التناول للسرقة كثير الاغارة . لو قيل لكلام سعيد وشعره : ارجع إلى أهلك لما بقي معه شيء [2] »

* * *

ومن نقد (البؤساء) لليازجي : « استعماله (البرهة) للزمن القصير [3] و(باهت اللون [4]) بمعنى كمده و(تبقى عليه كذا [5]) أي بقي و(ألم تعثر في طريقك أيها الراهب بغلام [6]) والنصوص عليه في هذا المعنى عثر عليه لا به ، وبقيت (تقضقض) من البرد أي تقفقف [7] ، ولم يجيء قضقض بهذا المعنى »

قلت : قضقض الشيء فتقضقض كسره فتكسر ، والقضقضة صوت كسر العظام ، وفي شعر أبي تمام :

طلبُ المجد يورث المرء خبلا وهموماً تقضقض الحيزوما

وفي حديث صفية بنت عبد المطلب : (فأطل علينا يهودي ، فقمت إليه فضربت رأسه بالسيف ، ثم رميت به عليهم ، فتقضقضوا) أي انكسروا وتفرقوا كما في النهاية

وفي ذاك (النقد) : « ولحتُ بأحد فخذيك (فدعا) والفدع يكون في القدم لا في الفخذ ، وهو أن يعوج الرسغ حتى تنقلب القدم إلى إنسيها ، [1] وقيل : هو أن يمشي على ظهر القدم »

قلت : أكثر ما يكون الفدع في الرسغ من اليد والقدم ، وفي (اللسان) : « الفدع عوج وميل في المفاصل كلها خلقة أو داء كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها ، لا يستطاع بسطها معه »

ومن ذاك (النقد) : « عولت على مغادرة ابنتي : أي أجمعت وصممت ، وليس هذا معنى اللفظة ، ولكن يقال . عوّل عليه بمعنى اتكل »

قلت : في (الجمهرة) : عوّل عليّ بما شئت أي حملني ما شئت من ثقلك ، وفي (الصحاح) : عول علي بما شئت أي استعن بي ومثل هذا في (اللسان والاساس) وفي (الأساس) : « ويقال : عول على السفر إذا وطّن نفسه عليه » وقول حافظ يضارعه . وفي الرابعة والثلاثين من المقامات الحريرية : « قال : أندري لمَ أعولت ، وعلام عوّلت ؟ » وقد فسر بعض الشراح عول بمعنى عزم واعتمد ، وهو مقصود ابن الحريري ، ولم ينقد ابن الخشاب هذه اللفظة . وفسر الشريشي عول بمعنى اتكل ، وعبارة المقامة لا تعني الاتكال

ونقد اليازجي « النجمة للنجم »

قلت : النجمة ضرب من النبت كما في (الصحاح) والنجمة الكلمة ، ولم أجد النجمة للنجم في المعجمات المعروفة المطبوعة . غير أني قرأت في (التاج) في مستدركه : « ونجمة الصبح فرس نجيب » ورأيت في (أقرب الموارد) : « النجمة النجم وهي أخص منه » وقد جاء هذا بعد تفسير : (علم النجوم ، نجوم الأخذ ، فلان ينظر في النجوم) فغير العارف يظن أن النجمة مثل النجم . والأصل لما في (أقرب الموارد) هو في (النهاية) : « ومنه حديث جرير : بين نخلة وضالة ونجمة وأثلة . النجمة أخص من النجم وكأنها واحدته كنبتة ونبت » وروى (اللسان) هذا الكلام فنقل صاحب (أقرب الموارد) منقوله ، ورتبه كما رتّب ليضل من يطالع معجمه . والشيخ سعيد الشرتوني فاضل كبير ، وله مصنفات حسنة ، ومقالات متقنة ، لكن معجمه (أقرب الموارد) لا يوثق به ، فقد تكردست فيه الأغلاط تكردسا

الاسكندرية (***)

---

(١) في (اللسان) : ضغن الدابة عسرها والتواؤها . وفي (الأساس) : وقناة ذات ضغن : فيها اعوجاج والتواء

(٢) وفي (الفهرست) : كان يدعى أنه من أولاد ملوك الفرس ، وله من الكتب كتاب انتصاف العجم من العرب ويعرف بالتسوية ، كتاب ديوان رسائله ، كتاب ديوان شعره

(٣) قلت : في (الصحاح) : أتت عليه برهة من الدهر أي مدة طويلة من الزمان

(٤) قلت : الباهت من البهتان أو من بهت — كنصر وكرم وعلم — بمعنى دهش وهو غير فصيح . والفصيح بهت — بالبناء لما لم يسم فاعله — فهو مبهوت . ولا يقال باهت ولا بهيت كما في الصحاح

(٥) قلت : في (الاساس) تبقاه بمعنى استبقاه

(٦) قلت : في (اللسان) : عثر على الأمر اطلع وأعثرته عليه أطلعته وفي (الصحاح) : وعثر به فرسه فسقط وعثر عليه أيضا ، وفي (الأساس) وعثر الزمان به ، وعثر في كلامه وتعثر

(٧) قلت : في (النهاية) : في حديث سهل بن حنيف : فأخذته قفقفة أي رعدة ، يقال . تقفقف من البرد إذا انضم وارتعد

(١) قلت : في (الصحاح) : قال الاصمعي : كل اثنين من الانسان مثل الساعدين والزندين والقدمين فما أقبل منهما على الانسان فهو انسي وما أدبر عنه فهو وحشي

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٣٤ –

مقالاته للرسالة (٥)

لم تكن قصة « بنت الباشا » هي آخر حديثه عن الزواج ، وإن كانت آخرما أنشأ في هذا الموضوع بخصوصه ؛ ثم بقي عنده طائفة من المعاني والخواطر في موضوع الزواج والمرأة جاءت مبعثرة في طائفة من المقالات من بعد ؛ ومنها مقالة (احذري) وهي قصيدة من النثرالشعري مترجمة عن الملك ، تقع منزلتها بإزاء القصيدة المترجمة عن الشيطان في مقالة (لحوم البحر)

وكان الرافعي في هذه الفترة قد اصطنع مودة بينه وبين طائفة من الشباب اللاهين ، كانت تجمعهم قهوة (لمتوس) في طنطا للعبث واللهو والمجانة ؛ فتألفهم بالنادرة والفكاهة ليجمعهم إليه فيستمع إلى أحاديثهم في شئون المرأة والزواج ؛ وقد قدّمت القول في بعض ما سبق من هذه الفصول بأن ذهن الرافعي كان سريع الالتفات إلى معاني المرأة ، وكانت أعصابه قوية الانفعال بحديث النساء ، حتى لتراه وهو يستمع إلى محدّثه إذ يتحدث عن الحب والمرأة كأنما يخيل إليه أنه يرى قصة ما يسمع ، وأنه يشهد حادثة لاحديثا ؛ ثم يزيّن له خياله ما يزين فيضيف من وهمه إلى ما سمع مالم يسمع ؛ فتراه كما ترى الفتى المراهق : يجد حديث الغزل والحب حريقا في دمه وثورة في أعصابه لا حديثا في أذنيه . . . فيستزيد مما يسمع وهو صاغٍ ملذوذ ؛ فيحمل محدثه بذلك على الاطناب والاسترسال حتى ينفض جملة ما في نفسه من رواية الواقع أو مبتدعات الخيال ... !

وعلى شدة احساس الرافعي بمعاني (الجنس) إلى هذا الحد ، فانه بإيمانه وخلقه وتديُّنه واعتصامه بالوحدة، كان قليل الخبرة ضئيل المعارف في هذا الباب : فكان له علم جديد في كل مايسمع من هؤلاء الفتيان من قصص ما بين الشبان والشابات من ناشئة هذا الجيل ؛ وكان هذا العلم الجديد يسرع به إلى سوء الظن بكل فتى وكل فتاة ، وكان من هذا الظن مذهبه الاجتماعي الذي يعرفه القراء .

من أحاديث هؤلاء الفتيان ، كان إليه وحي المعاني في قصيدة « احــذري » ؛ كما كانت توحي إليه حوادث بعض الصحف وأحاديث بعض المجلات بكثير من المعاني وكثيرمن الموضوعات ؛ إذ كان يحرص على أن يقرأ كل ما تنشره الصحف والمجلات من أحاديث الهوى والشباب ومصارع الأخلاق .

* * *

وكان الرافعي يختلف في طنطا إلى بيوت طائفة من مهاجرة لبنان كان بينه وبينهم صداقة ومودة ؛ فكان يزورهم بين أهليهم ، فيكرمونه ويأنسون له ويحفون به ؛ والرافعي محدّث لبق ظريف المسامرة ؛ فكانت مجالسه هناك تطول ساعات يتحدث إليهم ويتحدثون إليه . وفي بيوت المتمصرين من أهل لبنان عادات غير ما نعرف في بيوتنا ، فكان الرافعي يجد هنالك جواً يوحي إليـه ويمده بعلم جديد ...

وأنا لم أصحب الرافعي في طنطا إلى (زيارة مصرية) إلا فيما ندر ، على أني كثيراً ما كنت أصحبه في تلك الزيارات ... !

وأعترف بأن الرافعي لم يكن يقصد إلى زيارة أصدقائه هؤلاء لغرض مما يتزاور من أجله الأصدقاء ، ولكنها كانت زيارات يقصد بها إلى معنى مما يتصل بفنه وأدبه ؛ وأحسب أن كثيراً ممن كان يزورهم ويزورونه كن يعرفن له ذلك فيهيئن له أسبابه وكثير من نساء لبنان أحفل بالأدب من رجال في مصر

وقد صحبته مرة إلى زيارة أسرة الآنسة ق ، وهي فتاة ذكية من أهل الفن والأدب ؛ وقد ألحّ عليّ يومئذ إلحاحاً شديداً أن أصحبه ، ولم أكن أعلم ما يقصد إليه بهذه الزيارة إلا أن تكون

تسلية برئة ومتاعاً من متاع أهل الفن

وكنت في ذلك اليوم سانماً أغنية عامية في معنى من معاني الشباب تعبر عن حال من حالى في تلك الفترة ، ودفعتها إلى الرافعي لينظر فيها ؛ فلما قرأها طواها وجعلها في جيبه ...

... وصحبت الرافعي إلى حيث يريد ، فاستقبلتنا الفتاة وأمها وشاب من قرابتها ، ثم لم يكد يستقر بنا المجلس ، وأهل الدار حافون بنا يبالغون في إكرامنا ، حتى أخرج الرافعي الورقة من جيبه فدفعها إلى الفتاة ...

وقرأت الفتاة الأغنية ، ثم ردتها إلى الرافعي وهي تقول : « جميل ... شعر عاشق ! »

قال الرافعي وهو يشير إليّ مبتسماً : « إنها أغنيته ! »

قالت : « إيه ... ! أعاشق هو ! »

قال الرافعي : « نعم ! ... ومن أجلك صنع هذه الأغنية ! »

ومضت فترة صمت ، وصبغت حمرة الخجل وجه الفتاة ، وتولتني الدهشة مما سمعت فما استطعت الكلام ، ونظر الرافعي إليّ نظرة طويلة لم أفهمها ، وكان بي من الحياء أضعاف ما بالفتاة ... وكانت دعابة غير مألوفة ولا منتظرة ، أوقعتني في كثير من الحيرة والارتباك ...

وقطعت الأم هذا الصمت الثقيل قائلة : « أغنية رقيقة ! »

وردد الشاب صدى صوتها يقول : « ... رقيقة ! »

وثبتُّ في مكاني لا أتحرك ، لا أرى أمامي غير تلك الابتسامة الشامتة على شفتي الرافعي ...

ثم نهضت الفتاة إلى الغرفة الثانية وعادت بطبق الحلوى فقدمته إليّ ؛ ثم إلى الرافعي ؛ واتخذت مجلسها إلى جانبي ... وعاد الحديث ألواناً وأفانين بين الجماعة وأنا صامت في مجلسي لا أكاد أفهم ما يدور حولي من الحديث !

وجعلت أسائل نفسي وأكاد أنشق غيظاً : « ترى ما ذا حمل الرافعي على هذا القول ... ؟ »

فلما انفض المجلس وخرجنا إلى الطريق نظرت إلى الرافعي مغضباً أسأله جلاء السر ، فضحك ملء فمه وهو يقول : « قصة طريفة ... » لقد عقدنا المقدمة فانظر في طريقة للحل ... سيكون فصلا أدبياً ممتعاً يا شيخ سعيد ، تكون أنت مؤلفه وعليّ أن أرويه ؛ لقد سئمنا الخيال فالتمسناك وسيلة إلى الحقيقة ... ! »

وغاظني حديث الرافعي أكثر مما غاظني الذي كان منه فتمردت عليه ، ولكن الرافعي عاد يضحك ويقول : « أتراك — إن أبيت — تستطيع أن تمنع نفسك الفكر فيها وأن تمنها ؟ لقد بدأت القصة فما بدٌّ من أن تكون لها خاتمة ! »

ومنقتُ بهذه الدعابة وثارت نفسي فأخشنتُ القول ؛ فزاده الضحك وهو يقول : « وهذه الثورة أيضاً هي حادثة من فصول هذه الرواية ... ! »

وأعداني مرح الرافعي وانبساطه فضحكت ، ثم لم أجد للجدال فائدة فسكتُّ على غيظ ضاحك . ولقيتُ الفتاة بعدها مرتين فتناسيت ما كان ولم أسأل نفسي عن شيء من خبرها ...

ومضى زمان ، ثم جاءني الرافعي يوماً يقول : « إن بينك وبين صديقنا الأديب ج لشيئاً ؟ » قلت : « ماذا ؟ »

قال : « أحسبه يغار منك على خطيبته الآنسة ق ؛ فإنه ليعلم أن بينكما عاطفة ... ! »

وقال لي ع الذي صارت ابنته في داري من بعد : « أتراك كنت مع الرافعي أمس في زيارة فلانة ؟ » فتوجست من سؤاله شيئاً ...

وكادت تكون قصة كما أراد الرافعي ولكني حسمت أسبابها فراراً بنفسي !

* * *

... من مثل هذه الحادثة كان يلتمس الرافعي موضوعاته ويبدع معانيه في المرأة والحب والزواج ومشاكل الأسرة ؛ ومن هذه المجالس التي كان يصطنعها أو يسعى إليها ويهيئ أسبابها كانت تنجلي له الفكرة ويومض الخاطر وتتشقق المعاني ؛ ومن هذا الجوّ زخرت نفسه بالعواطف النابضة التي ألهمته من بعد أن ينشئ ما أنشأ من القصص لقراء الرسالة ، ومنها كانت قصص الأجنبية ، وسموّ الحب ، والله أكبر ، واليمامتان ، وغيرها .

وما أعنى أن ذلك كان يملي عليه القصة والموضوع ، إنما كان يمده بالمعاني والخواطر حتى يملأ نفسه ويوقظ حسه ؛ فما تزال هذه

الخواطر والأفكار مضمرة فى الواعية تزبد وتتوالد وينضم شىء منها إلى شىء حتى يأتى وقتها ؛ فاذا همّ بموضوع مما يتصل بهذه الخواطر المضمرة انثالت عليه المعانى انثيالا حتى يتم الموضوع تمامه على ما يريد

***

ولما قص الرافعى قصة « الأجنبية » وحكى حكايتها على لسان ولده الدكتور محمد ، أحس بالتعب والملل ، وراجع ما كان من عمله فى الأشهر الستة الماضية منذ بدأ يعمل فى الرسالة ، وما عاد عليه ؛ فضاقت نفسه وبرمتْ به ، وأحس فى نفسه شعوراً جديداً ليس له به عهد ، وقال لنفسه وقالت له ، وثقل جسمه فى الفراش بما يحمل فى صدره من هم وما يضنى جسده من علة ؛ وخفت روحه إلى سماواتها ، وتنازعته قوتان ... وهم أن يكتب إلى الأستاذ صاحب الرسالة ليعفيه من الاستمرار فى العمل ... وطال الحديث بينه وبين نفسه فأرّقه ليلة ...

وتركته وروّحت إلى دارى وهو شاك متبرم ينكر موضعه من الحياة ومكانه بين أهل الأدب . فلما كان عصر اليوم التالى دعانى ليملى علىّ « قلت لنفسى ... وقالت لى ... »

من أراد أن يعرف الرافعى العرفان الحق ، فليقرأ هذا الحديث يعرف نفسه الصريحة على فطرتها ؛ ثم يعرف مذهبه فى الأدب وهدفه فى الحياة .

إن غاية ما ينشده الباحث عندما يهم بالبحث فى حياة إنسان له أثر فى تاريخ الحياة أو تاريخ الأدب ، أن يعرف مضمر نفسه من ثنايا أعماله أو من حديث معاصريه ؛ وإنه مع ذلك ليخطئ أو يصيب سبيل المعرفة ، ولكن ها هنا إنساناً يتحدث عن نفسه وتتحدث نفسه إليه ، حديثاً كله صدق لا اختراع فيه ولا تزوير ولا سبيل فيه إلى الخطأ

وأشهد أنى رأيته قبل أن يملى علىّ الحديث وأن فى وجهه لمعانيه قبل أن يكون كلاما ؛ فما رأيته ورأيت حديثه من بعد إلا كما تصور معركة فى حكاية وصف : هذه هى هذه ، وكانت حركات صامتة فصارت عبارة ناطقة .

وأكثر معانيه فى هذا الحديث قديم فى نفسه ؛ وقد نظم شيئا منها قبل ذلك بسنتين أو ثلاث فى قصيدة نشرها فى مجلة المقتطف

... وكما تثوب إلى المحزون نفسه إذا صرح بشكاته إلى صاحب سره ، هدأت نفس الرافعى بعد إملاء هذا المقال وثاب إلى الطمأنينة والرضى ، وكأنما نفض همومه وأحزانه فى هذه الكلمات وكانت تثقل رأسه ؛ أو كأنما كان يستمع إلى مداولة الرأى فى محكمة الضميرين نفسه وهواه ، فما هو إلا أن استوعب ما قال وقالت حتى اطمأنت نفسه إلى الحكم الأخير ، وانتصرت الروح السامية على ما كان ينازعها من أهواء البشرية ...

ثم كان هلال رمضان فأنشأ مقالة « شهر الثورة » وهى السابعة مما أنشأ من المقالات الدينية لقراء الرسالة

« سيدى بشر » **محمد سعيد العريان**

جورجيـــاس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٧ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفيه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : تلميذ سقراط : « س »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ط — (مخاطباً جورجياس) وقد قلت زيادة على ذلك أن الخطيب يولد من الاعتقاد فيما ينفع الجسد أكثر مما يولد الطبيب ! ؟

ج — نعم . قلت هذا ولو أن عمل الخطيب يختص بالجمهور !

ط — وتقصد بالجمهور الجهلة من غير شك لأنه واضح أن الخطيب لا يفضُل الطبيب أمام جمع من المتعلمين ؟ !

ج — إنك تقول حقاً !

ط — وما دام الخطيب أجدر بالإقناع من الطبيب فهو أجدر به أيضاً من العارف ؟ !

ج — بلا شك !

ط — حتى ولو كان هو فى نفسه غير طبيب ، أليس كذلك ؟

ج — بلى

ط — ولكن واضح أن ذلك الذى هو ليس من الطبيب فى شئ يجهل الأشياء التى يحذق علمها الطبيب ؟ !

ج — نعم — هذا واضح —

ط — وهكذا يصبح الجاهل أقدر من العالم على إقناع الجهلة فى اللحظة التى يصبح فيها الخطيب أليق للإقناع من الطبيب ؟ أليس ذلك معقولاً ؟ أم ترى عندك شيء آخر ؟

ج — كلا ، فهذا هو الذى يحدث فى هذه اللحظة

ط — وهذه الخاصة التى يمتاز بها الخطيب وفنه : أليست واحدة بالنسبة للفنون الأخرى ؟ أعنى ليس ضرورياً أن يعنى رجل البيان بطبيعة الأشياء ، وحسبه أن يلتمس طريقة ما للاقناع بحيث يبدو فى عين الجهلة من الناس كما لو كان أكثر علماً من أولئك الذين يجيدون هذه الفنون ؟

ج — أليس جميلاً يا سقراط ألا نكون محتاجين إلى تعلم فن آخر غير ذلك الفن الذى لا ينبغى أن نتنازل عنه قط لأى محترف آخر ؟

ط — سنبحث حالا فيما إذا كان الخطيب يتنازل عنه من هذه الناحية للغير أو لا يتنازل حسبما يتطلب الموضوع . ولكن لننظر أولاً فيما إذا كان الخطيب يستطيع إزاء الحق والباطل ، والجمال والقبح ، والخير والشر : أن يكون كما يكون بالنسبة لما يجلب الصحة ولموضوعات الفنون الأخرى ، بحيث يجهل ما هو الخير وما هو الشر ، وما هو الجمال ، وما هو القبح ، وما هو الحق ، وما هو الباطل ، ولكنه يتخيل مع ذلك وسيلة للإقناع بهذه الموضوعات ، ويبدو فى عين الجهلة كما لو كان أكثر علماً من العلماء ، بينما هو نفسه جاهل خاوى الوفاض ! أو قلترَ بالأحرى إذا كان لازماً وضرورياً لمن يريد أن يدرس البيان أن يبحث عن كل هذا ويمهر فيه قبل أن يتلقى دروسك ؛ أم أنك — وأنت أستاذ البيان — سوف لا تعلم شيئاً من كل هذه الأشياء إذا

---

(١) رأينا في العدد الماضى كيف رحب سقراط بالنقد ، وكيف حمل جورجياس على أن يعود للمناقشة فى موضوع البيان على أساس النقد الحر . ثم رأينا كيف انتهت المحاورة هناك بادعاء جورجياس أنه يستطيع أن يجعل من تلاميذه خطباء قادرين على الكلام أمام الناس فى موضوع العدل والظلم ليقنعوهم بآرائهم الخاطئ منها والصائب . وسنري اليوم كيف يلوك سقراط تلك الدعوى ثم يقذف بها في وجه صاحبها فاذا هى مجموعة من المتناقضات ! ! « المعرب »

لم يك لديه معرفة بها لأن هذا ليس من شأنك ؛ وأنك فقط ستسلك معه — فى هذه الحال — سلوكاً يجعله يبدو كما لو كان عارفاً بها ، ويخلع عليه الخير دون أن يكون رجل خير بالفعل ! أم « لا هـذا ولا ذاك »[1] لأنك سوف لا تستطيع أن تعلمه البيان مطلقاً قبل أن يعرف الحقيقة المتصلة بهذه الموضوعات على الأقل ؟ فماذا ترى فى هذا يا جورجياس ؟ وهل ترى — وحق جوبتير — أننا نتقدم فى خواص البيان كما وعدت أنت منذ لحظة ؟

ج — أرى يا سقراط أنه عندما لا يكون لديه شيء عن كل هذه الموضوعات فإنه يستطيع أن يتعلمه منى !

ط — أرجو أن تقف هنا فإن إجابتك حسنة للغاية ؛ ألكيما تستطيع أن تجعل من أحد الناس خطيباً يجب أن يكون (هذا الراغب فى الخطابة) عارفاً بالظلم والعدل ، سواء أتت هذه المعرفة قبل مجيئه إلى مدرستك ، أم منك أنت ؟

ج — لا تناقض فى هذا !

ط — ولكن ماذا ؟ أيكون هذا الذى تعلم « التجارة » تجاراً أم لا يكون ؟

ج — يكون تجاراً

ط — وعندما يتعلم الإنسان الموسيقى ، ألا يكون موسيقياً ؟

ج — بلى

ط — وعندما يتعلم الطب ، ألا يكون طبيباً ؟ وبالاختصار فيما يتعلق بالفنون الأخرى — ألا يكون الإنسان كما ينبغى أن يكون تلميذ كل فن منها عندما يتعلم كل ما يتعلق بها ؟

ج — أوافق على هذا

ط — ويكون — لنفس السبب — كل من تعلم ما يختص بالعدالة عادلاً ؟ !

ج — دون تناقض

ط — ولكن هل يؤدى الرجل العادل فى مظهره أعمالاً عادلة ؟

ج — نعم

ط — وإذاً يجب أن يكون الخطيب عادلاً ، وأن يكون الرجل العادل راغباً فى أداء الأفعال العادلة ؟ !

ج — هذا ما يلوح — على الأقل — !

(١) لقد زدنا هذا التعبير من عندنا لانسجام المعنى « المعرب »

ط — ولا يرغب الرجل العادل أبداً في ارتكاب ظلامة ما ؟ !

ج — هذه نتيجة محتومة !

ط — ويجب بالأحرى أن يكون الخطيب بعد كل ما قيل رجلاً عادلاً ؟ !

ج — نعم

ط — وإذاً فإن يرغب الخطيب فى ارتكاب ظلامة ما ؟ !

ج — يلوح أن لا[1]

ط — وهل تذكر أنك قلت منذ قليل إنه لا يجوز أن نقف فى وجه مدرب الألعاب وننفيه من المدينة لأن أحد المصارعين أساء استعمال الملاكمة وارتكب بها عملاً ظالماً ، وإنه — لنفس السبب أيضاً — إذا أساء أحد الخطباء استعمال البيان يجب ألا نُرجع الخطأ لأستاذه وننفيه من المملكة ، بل يجب أن نلقى المسئولية على الفاعل الذى لم يستعمل البيان كما ينبغى ؟ أقلت هذا أم لم تقله ؟ !

ج — قلتُه

ط — وهل ترى هذا الخطيب نفسه عاجزاً عن ارتكاب ظلامة ما أو سوف لا تراه ؟

ج — سنراه !

ط — وقد قررنا من المبدأ يا جورجياس أن موضوع البيان هو الكلام الذي يعالج العدل والظلم لا الزوج والفرد ، أليس هذا حقاً ؟

ج — بلى

ط — عندما تكلمتَ بهذا النحو ظننت أن البيان لا يستطيع أن يكون أبداً شيئاً ظالماً لأن كلامه يدور دائماً حول العدالة . ولكن عندما سمعت بعد قليل أن الخطيب يستطيع أن يستخدم البيان استخداماً ظالماً عجبت واعتقدت أن قوليك متناقضان . وهذا ما جعلنى أقول إنك إذا كنت ترى مثلى أن المعارضة خير فإننا نستطيع أن نواصل المناقشة ، وإلا فلنتركها حيث وقفنا ؛ فلما أن درسنا الموضوع فيما بعد رأيت بنفسك أننا قد اتفقنا على أن الخطيب لا يستطيع أن يستخدم البيان استخداماً ظالماً ولا أن

(١) ويلاحظ أن جورجياس كان قد قرر من قبل أن من الخطباء من يسيء استعمال البيان « المعرب »

غزل العقـــــاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٥ —

لقد جهد أخونا العمراوى أن ينقض ما قلت عن الرافعى فجاء بمغالطات لم يعصمه منها ما يتشح به من دين وخلق محتكرين للرافعيين وأغاليط يعرفها طلاب المدارس الثانوية عن المعادن وخواصها ! ثم لم يبلغ بعد الجهد والعرق المتصبب إلا كما يبلغ من تقول له : إن هذه المسألة ليست من الرياضيات العالية ، فهى مسألة على « القواعد الأربع الأصلية » وحلها هو كذا . فيأتى لك بحل آخر ، ويظن أن ذلك يخرجها من الحيز الضيق ، حيز القواعد الأصلية ، إلى مجال الرياضيات العالية

ذلك شأنى وشأنه فى تفسير كلام الرافعى ، وربما كان ختام هذه المقالات ، تفكها بتلك «العمراويات» والأمرقة !

على حدود تعريفنا للشاعر الكبير ، التقينا البارحة بالعقاد فى حديثه عن الجمال ، ونحن بالطبع لم نستقص ما قال ، ولكنها نماذج تبين الوجهة ، وتكشف عن المدى ، وسيأتى غيرها فى « غزل العقاد »

وها نحن أولاء نلتقى به اليوم كذلك فى حديثه عن «الحب» على هذه الحدود ، بل نلمحه وراءها يبيد ، يهضب فى خطواته الجبارة ، وهو ما يكاد يلقى باله إلى الزواحف والفواحص حوله من المتطلعين على الطريق !

فما الحب عند شاعرنا الكبير ؟

إنه لن يقف به عند اللهفة الظامئة ، أو الفورة العارمة ، ولا عند الحنين والدموع ، أو الفرحة والاستمتاع . فللحب بعد هذا وذلك وشائج بالحياة الكبرى ، ومسارب فى الكون والطبيعة ، ومدارج وملاعب فى ساحة الخلود

وليس هو إحساساً فى نفس فرد ، ولكنه فورة وقوة فى نفس كون ، ودفعة ومضطرب فى ضمير دنيا ، وحياة وحركة فى قلب وجود

وليس هو مصادفة عابرة ، ولا فلتة غير مقصودة ، ولكنه نظام وقصد ، تهيئهما الأقدار لبلوغ مآرب وغايات ، ولتحقيق آمال وخيالات

والنفس الكبيرة التى يحملها العقاد ، والقلوب المنفسحة التى وهبت لأمثاله ، إنما هى معارض يبدى فيها هذا الحب فنونه ويلعب أدواره ويقرب فيها من غاياته ، ويحقق أحلامه فى أنسب الظروف والأحوال !

* * *

فالحب تمهيد للخلود ، ومران على حيـاة الخالدين ، حتى لا يفاجأ القانون بهذه الحياة ، على بعد النقلة والشقة بين الحياتين !

هذى الليالى الدنيوية نفحة   من عالم الملكوت والأعراف
لولا النعيم بها لما خطرت لنا   مُثُـلُ النعيم بجنة ألفاف

ولهذا يتيقظ المحبون ، ويعافون النوم . أليس النوم راحة لأهل الفناء من المتاعب وتجديداً لقوام المنخذلة فى كد المعيشة ، فما شأنه فى اللحظات المقبوسة من النعيم الخالد

يقظة الحب من خلود وماذا   يصنع النوم بين أهل الخلود ؟
وإذا ذقت من موائد هذا الحـ   ـب فالنوم من فتات العبيد

والحياة والأحياء ، إنما كانوا ينزعون للخلود ، ويبتغون الدوام ، فلما عز عليهم الطلب ، وأبت طبيعتهم ما يطلبون ، عوضوا عنه بالحب ، فكان عوضاً كاملا شائقاً تمناه الخالدون !

ما الحب ، ما الحب؟ إلا أنه بدل   من الخلود فما أغلاه من بدل
نزهى به حين يزهى الخالدون بما   نالوه من أبد باق ومن أزل
داموا فلـما تقاضينا الدوام لنـا   قالوا لنا : « حسبكم با لحب من أمل »

رغب بنفسه فى ارتكاب ظلامة ما وأرى — وحق الكلب[1] — أن هذه ليست بمادة مناقشة يسيرة يا جورجياس ، وإذاً فلنبحث فى عمق ما يجب أن نراه فى ذلك الشأن[2]

ب — ماذا يا سقراط ؟ أعندك حقيقة الفكرة التى قد ذكرتها عن البيان ؟

« يتبع »   محمد حسن ظاظا

---

(١) كان سقراط يكثر من ترديد هذا القسم . ويرجع البعض هذا « الكلب » للاله المصرى أنوبيس . ويلاحظ هنا النهاية العظيمة التى انتهى سقراط إليها بشأن الخطيب الحق !

(٢) وينتهي هنا القسم الأول من المحاورة ويبدأ القسم الأهم الذى يتناول فيه أفلاطون طبيعة العدالة والظلم ، والذى يقرر فيه أن الخطيب الذى يجعل نفسه فوق القانون ويضلل الجمهور أكثر الناس ظلماً وشراً «المعرب»

دامُوا وقد جسدونا في سعادتهم   على السعادة بين الموت والقبل

وفي هذا الاحساس الفريد، يلتقي الشاعر الكبير، بالعالم المفكر، بالفيلسوف العظيم، وتصح نظرة كل منهم في الحب، وغاية الطبيعة منه، وذلك حد العبقرية في الفنون

ويصح أن نتبع بما سبق قوله:

أتحلمين بشيء كامل أبداً   أتم من عالم في قلب رجلين؟

«فالكمال» المنشود في الحب صنو «الخلود» أو غايته أو وسيلته: فهو صنوه لأنه غرض مثله من أغراض الحياة؛ وهو غايته، لأن الحياة إنما تريد الدوام لتتهيأ به للكمال؛ وهو وسيلته، لأن الحياة لن تنال الخلود وهي ناقصة متحيفة الجوانب والأجزاء وهو هذا كله في حس الشاعر الملهم بما في ضمير الأكوان والآباد

ويكمل هذه النظرة ويشرحها حديثه في كتاب «مراجعات في الآداب والفنون» في فصل: «الزهر والحب»:

«لقد تعودنا أن نحسب العلاقة بين الذكر والأنثى أصلاً للحب بجميع صنوفه وألوانه. ولكننا إذا واجهنا الحقيقة من وجهة أعم وأعمق، تبين لنا أن هذا الحب بين الذكر والأنثى هو فرع طارئ من أصل إلهي قديم شامل للموجودات، مستقر في طبيعة الوجود، هو حب الكمال والدوام، وليس الحب بين الذكر والأنثى غاية في ذاته، وإنما هو واسطة من وسائط هذا الحب الأصيل»

والحب قد احتضن الحياة وهي جنين، حتى إذا برزت للوجود أخذ بيدها وقادها في مسالك الطبيعة، وحاول أن يسمو بها عن منبتها وينزع بها إلى الخلد والسماء:

هي الحياة جنين الحب من قدم
لولا «التجاذب» ما ضمتك أكوان

والتجاذب بين «الالكترون» و«البروتون» يقوم عليه بناء الذرة، فتبنى على أساسها الأكوان. ولم يكن العقاد في حاجة للعلم بهذه النظرية التي أثبتها أخيراً «تحطيم الذرة» ليقول إن الحياة جنين الحب، ولكنها الشاعرية الكبيرة تنساح في تيارها العلوم والثقافات حتى تعود جزءاً منها لا يماز عن طبيعتها وماهيتها

والحب يقود هذه الأرض، وينزع بها عن منشئها، ولهذا ينادي ربان الزورق النائم، وهو في سبحة من سبحات الحب:

نَم ربّاننا وهمنا بعيداً   فامض بالفلك في يدي «كوبيد»
واتبعه فالكون أجمع يا فلك   تلقى في يمين هذا الوليد
هو ربان هذه الأرض فأمنه   على ملكك الصغير الزهيد
وتعلم منه عبور السموات   فما دون سبحه من بعيد

وإذا كان الجمال كما قدمنا آنفاً هو خلاصة آمال الوجود وأشواقه، فحب هذا الجمال حب للوجود، ما كان منه ومن كان. والعانق للجمال معانق للفضاء بأسره بما فيه من أنواع وأطباع. ومن يعش في بحبوبة الحب فانما يعيش في الكون كله، فهو مدار العالم. يتضح كل ذلك في قصائد متفرقة:

إنا لمن معشر حب الجمال لهم   حب لما كان في الدنيا ومن كانوا
وأنا العانق للفضاء بأسره   في جسم أغيد كالندى شفاف
نحن في بحبوحة الحب وهل   غير هذا الحب في الكون مدار؟

والحب رفعة للنفس، ونقلة إلى عالم النجوم، وعمق في الحيوية تطول به الأعمار، وإيغال في المجاهل والآباد والعهود والأزمان

كم علونا من دارة بعد أخرى   وطوينا العهود بعد العهود
والحب من ينش ركبه   يساير النجم كل حين

لحظة ترفع عمري   حقباً متصلات
رب عمر طال بالرفعة   لا بالسنوات
لحظة لا بل خلود   لاح بين اللحظات
كالسموات تراها   في شباك الحلقات
رب آباد تجلت   من كوى مختلفات
وقطيرات زمان   ملأت كأس حياة

وإني لأكتفي في هذه النماذج، بما سقتها من أجله؛ وإلا فوراء هذا مجال واسع لبيان الطرافة في الحس والتعبير، وفي رؤية الخلود من خلال هذه اللحظات، كالآباد تتجلى من كوى مختلفات أو كالقطيرات التي تمتلئ بها الكأس، وهي قطيرات زمان فاضت بها كأس حياة ...

والحب قدرة قادرة، تهب أصحابها مشابه من الألوهة، ومقابس من النبوة، وتنضح بالمعجزة. لا، بل إنها تهب في بعض الأحيان ما لا تهبه الأقدار:

ليس مكان في السماء كلها   عن شاعر أو عاشق بناء

بجناحيه من الحب ومن … حسنك الخفاق ينجاب الفضاء
داوني داوني فقد كان عيسى … يبعث الداثرين بالأسماء
وكلا الحب والعبادة وحي … فوق ذرع الحجا وفوق الذكاء
أمسيت أنظر لا أرى أمنية … كبرت وما خلق بالاستخفاف
تبسم ألا يرضيك أن ابتسامة … بثغرك أمضى من صنوف القادر

والحب بهذه القدرة يجمّل الحياة ويجددها ، ويخلق منها دنيا بعد دنيا، وكوناً وراء كون :

انظر فهل تجد المروج كعهدها … من قبل في الحدقات والآماق
وهي السماء أم ارتقت أجوازها … في النور آلافاً على آلاف ؟

ويقول في أبيات بعنوان « معنى جديد » :

قد شهدتُ الزمان في كل وجه … وبلوتُ الحياة في كل معنى
وختمت الدنيا ؛ فما من قديم … كان إلا يعاد وصفاً ولونا
فاذا الحياة معنى جديد … لم نجده من قبل أو لم يجدنا
ذاك معناك أنت حين وهبت الـ … ـقلب نوراً من طلعة الشمس أسنى
ومنحت الحب الالهي حبًّا … وكسوت الحسن السماوي حسنا

وفي قصيدة بعنوان : « جمال يتجدد »

كلما قلت لي الربيع جميل … قلت حقاً وزاد عندي جمالا
عجباً لي . بل العجيبة عندي … صور الكون كم يسمن كمالا
خلقتني قد وعينهن عيانا … وتبعت من وعوها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارئُ كتب … قرأ الكتب دارساً ، فأطالا
فاذا نظرة بلحظك تبدي … صوراً ما طرقن عندي بالا
بمداد الأنوار في أعين الحب نمد الأكوان والأجيالا

وبعض هذا كان يمكن سوقه في معرض الحديث عن «الجمال» ولكن التفرقة بين حديث الحب وحديث الجمال في النفس الشاعرة ليس بمستطاع في كل الأحوال، وكلاهما مادة واحدة في الحس والخيال

ويحسن أن نتبع حديث الشعر بحديث النثر، وكلاهما يتساوق ويتكامل في فن العقاد . يقول في كتاب المراجعات من فصل بعنوان : « أصل الجمال في نظر العلم » :

« ومما لا مراء فيه أن الحب يرينا من فتنة الحياة ما لا نراه بغيره وأن جمال المرأة أغلى محاسن هذه الدنيا المشهودة . بيد أن الحب لا يخلق فتنة الحياة؛ وليس جمال المرأة هو كل ما في الدنيا من المحاسن ، ولكنهما يصبغان الدنيا بهذه الصبغة لأنهما يوقظان القلب ويذكيان الشعور ويمسان كوامن الوجدان فينفتح لما حوله، ويرى ما لم يكن يراه ، ويستوعب ما كان يلمحه بطرف العين ، ويستحسن ما كان في غفلته عن حسنه قبل أن تتراءى الدنيا لخواطره في ثوبها الجديد . وكذلك تفعل الخمر حين تركض بالشعور وتلهب الدم فانها تري النشوان من المحاسن ما لم يكن يراه في صحوه وتضاعف إحساسه وعطفه فيشعر بسرور هذا العطف في داخل نفسه ويشعر في الدنيا ببهجة تخفق على من حوله؛ ولذلك قيل إن الحب سكر أو أنه ضرب من الجنون»

والحب ملخص للأحاسيس الإنسانية في نفس الشاعر

غض عينيك قليلا واستعد … خطوات العام في الأفق الوسيع
كم ترى من خفقة غنت بها … ساعة السمر التي بين الضلوع
كم ترى من قبلة رنت بها … تلكم الساعة ؟ قل لو تستطيع
كم ترى من نشوة حامت بنا … حول عليين والعرش الرفيع
هو « حب » فاذا فرقته … فهو ما راع قديماً ويروع

ووراء دلالة هذه الأبيات على ما أوردناها له تلمح ملكة التشخيص والتصوير ، وهي تعمل عملها في نفس الشاعر وتخلق له من لحظات حبه شخوصاً ماثلة في ضميره ، يغمض عينيه عن الدنيا الظاهرة؛ ليتملاها ويستمتع بها واحدة واحدة ، ويعمق بهذا متعة الحب ، ويجوف خطراته

ولا ننس وراء ذلك كله هذا الخيال الطريف الذي يصور « العام » وهو يخطو في الأفق الوسيع ، مرموقاً بالعحظ والانتباه والاعجاب !

والحب معلم ، يهب الحس فطانة ، والروح نفاذا ، والفكر يقظة، وفيه مهرب من الحياة إذا ساءت إلى دنيا جديدة :

إذا ساءت الدنيا ففي الحب مهرب … وتحسن دنيا من أحاط به الحب
فبالحب تدرى الحسن والقبح عندها
وفي الحب علم لا تعلمه الكتب

والحب هو الذي يعمر القلب ويحييه ، وحين يخلو القلب منه ينتهي إلى عالم خراب ، وجدب كجدب اليباب :

هو الحب الذي يعمر هذا القلب لا الجد

حبك إن أخل منه يوماً خلوت فى عالم خراب
يمر بى اليوم لا أراك كما يمر بالأرض عامها القاحل

وهو ليس دموعاً ولا آهات ، وليس ابتسامات وتثنيات :

إنما الحب شراب عاصف يسكر الراوين منه والظماء

لهذا كله فالكون والحياة حفيان بالحب ، يستقبلانه بما فيهما من سرور وابتهاج ، ويهيئان له من الطرافة والجدة كل ثمين مذخور ، ويبذلان له من كنوزهما وأسرارهما ما لا يباح ، ويعترفان بحقه عليهما وفضله :

وهو يقول من قصيدة عن يوم لقاء :

قال : سيوق زائراً فى غد يا لغد ! كيف غد يشرق
بالشمس ؟ أم شمس غد وحده مذخورة من أجله تخلق
كيا ترى الدنيا ، وما شأنها سربالها المبتذل الخلق
فى حلة لا تتحلى بها إلا لمن يَعشق أو يُعشق

وفى قصيدة بعنوان عروس الليالى :

عروس الليالى تهبط اليوم من عل وتدنو على طول النوى والتدلل
سرت بين شرق من ضياء ومغرب
وبين جنوب من ضياء وشمال

ولما سألته الحياة جواز المرور بها ، لم يجد أحظى لديها من الحب يفتح منها المغاليق والستور :

قالت جوازك قلت هاك حب أنال به رضاك
فدخلت فى حذر الحيا ة وراء ألفاف الشباك

***

هذا هو « الحب » عند العقاد : عالم مترامى الأطراف ، وفن من أعجب فنون الحياة ، ومجال للخيال والحس والتعبير على غير مثال

ونحن نعيدها مرة أخرى : لو أن شاعراً قال هذا وسكت لجاوز حد الشاعر الكبير

وعلى هدى من رأيه فى الجمال ، ورأيه فى الحب ، سنتحدث عن « غزل العقاد » . وإن كان كثيرون سيتساءلون الآن : ماذا سيقول غير ما قال ؟ وسنجيبهم بعد قليل : تلك أوليات المقال

« حلوان » سيد قطب

حول أدب الرافعى

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

— ٦ —

لعل من الخير أن ننظر نظرة فى الأمور التى تشبه أن تكون أصولا فى النقد عند صاحب مقالات « بين العقاد والرافعى » والتى يمكن استنباطها من كلامه

ولعل من أبرز هذه الأصول مايصح أن يسمى بالعلمية . ولسنا نريد بالعلمية هنا علمية التفكير ، فقد وزناه من ناحية علمية التفكير فلم نجده منها فى شىء ؛ إنما نريد بها هنا علمية الأفكار . فصاحب تلك المقالات معجب جداً فيما يبدو بالعلم وبما يمكن أن يدخله الأديب فى أدبه من النظريات أو الحقائق العلمية . تعرف ذلك من طبيعة أكثر الأمثلة التى ضربها لتفوق العقاد عنده على الرافعى ، وتعرفه من تجشيمه نفسه قراءة ما قرأ من المباحث العلمية المنقولة إلى العربية كي يرق كما يقول إلى محاولة استيعاب العقاد . وهذه النزعة إلى العلم نزعة نشكر فيه لولا ما يفسدها عليه فى الموضوع الذى هو بصدده من تعصب للعقاد يجعله يتلقى كل ما يرد أو يتوهم أنه ورد على قلم العقاد من الأفكار العلمية كما يتلقى الوحى بالتسليم والاكبار المطلقين

والمثال الأول الذى ضربه لاحتياج الناظر فى أدب العقاد إلى ألوان من الثقافة كالتى استمدها هو من قراءاته العلمية قطعة من « وحى الأربعين » عنوانها « سعادة فى قمقم » . وقد تساءل بعد أن ذكر أبياتها التسعة « هل فهم الرافعيون شيئاً من هذه القطعة مع وضوح كل لفظة فيها وكل عبارة ؟ » . وما نظن الرافعيين أو غير الرافعيين يفهمون من مرماها شيئاً حتى يبلغوا البيت السادس منها

بسر على شفتى فاتن يباح إلى شفتى مغرم

وهو بيت رقيق ليس فى القطعة كلها مظهر للشاعرية غيره ، إذا بلغه القارئ ظن أن القطعة كتبت فى قبلة ، لأن السر الذى

يباح إلى شفتين لا يمكن أن يكون غيرها . حتى إذا بلغ القارئ البيت الثامن

وما أنا بالمشتهي قبلة ولا بالحريص على مغنم

زال عنه كل شك في المراد من القطعة كلها ، وإن بقي حيث كان من صعوبة توجيه القطعة إلى المعنى المراد كما يصعب أحياناً على قارئ اللغز حتى بعد عرفانه الحل أن يطبق لفظه على الشيء المقصود !

ولكي يشاركنا القارئ في تقدير القطعة نوردها له وإن شغلت مكاناً .

هنا قمقم سابح في الدم أسائل عنه ولم أعلم
جهلت خباياه حتى أتى عريف الطلاسم بالمعجم
ففيه كما قيل مسجونة سعادة بعض بني آدم
تجن جنوناً بنور الضحى وتذبل في حبسها المظلم
وقد زعموا أن إطلاقها رهين بهمة ذاك الفم

إلى هنا لا نظن قارئاً مهما بلغت ثقافته من التنوع والعمق ، وبلغ هو من الاستعداد الطبيعي ، يستطيع أن يدرك من هذه الأبيات معنى واضحاً ، أو أن يقول إن المقصود بها هو قبلة حتى يقرأ عقب ذلك :

بسر على شفتي فاتن يباح إلى شفتي مغرم
فهل أنت مطلقها منعماً فديتك أم لست بالمنعم ؟
وما أنا بالمشتهي قبلة ولا بالحريص على مغنم
ولكنما أنا أبكي أسى لتلك الشهيدة في القمقم

فليس في القطعة كما ترى ما يدل على المراد منها غير البيتين اللذين ذكرنا . والآن وقد عرفت المراد هل تستطيع ولو بشيء من التعسف أن تطبق القطعة على القبلة المطلوبة ؟ سيد قطب يقول إنك تستطيع بشرط أن تعرف نظرية فرويد في العقل الباطن ، وأن تكون على استعداد لأن تحس « بأن النوازع والرغبات المكبوتة في النفس ، والأشجان والبلابل والاضطرابات التي تعتريها إبان ضرام الحب ، تظل تعتلج في النفس وتقلقها وتهزها هزاً كمواد البركان المكتوم حتى ينفس عنها ويتاح لها التعبير فإذا هي سعادة وهدوء وراحة . » « وكيف يكون التعبير ؟ يكون بقبلة على شفتي فاتن تبيح السر إلى شفتي مغرم ، وعندئذ تنطلق تلك الشهيدة في القمقم التي يبكي لها أسى » . فهل تستطيع الآن بعد هذا التفسير الطويل المبني على نظرية فرويد في العقل الباطن أن تطبق أبيات القصيدة على القبلة المقصودة فتقول مثلا ما هو ذلك القمقم السابح في الدم المسجونة فيه تلك الشهيدة ؟ أما نحن فلا نحسب أحدا في حاجة إلى نظرية فرويد أو غير فرويد في العقل الباطن أو الظاهر ليعرف أن رغبات الحب التي يتلهف إليها توله قبل تحققها فإذا تحققت هدأ وارتاح وسعد زمنا ما ، ولا نحسب معرفة ذلك تحتاج إلى استعداد خاص في أحد ، فكل إنسان يدركه في نفسه ، حتى الطفل لو نطق وأحسن التعبير لقال إن ذلك كذلك، وفي دموعه قبل تحقق كل رغبة شديدة وابتسامه أو ضحكه بعد تحققها ولما تجف دموعه ما يغني عن كل نطق وتعبير . لكن صاحبنا ذا الثقافات يزعم أنك لا تعرف ذلك إلا إذا كنت ذا استعداد خاص وتثقفت بنظرية فرويد ! . ليكن ذلك . فكيف يمكن فهم تلك الأبيات إذن في ضوء نظرية فرويد ؟

إن أقل ما يطلب في الشعر الجيد ذي المعاني العلمية المتراكبة أن يحتوي على إشارات واضحة تكون مفتاحاً إلى تلك المعاني لمن يعرفها ، بحيث إذا توجه الذهن إليها بدأ يدرك المعنى العميق المقصود ، ولا يزال ذلك المعنى يزداد وضوحاً وتفصيلا بالاشارة بعد الاشارة ، والقرينة جنب القرينة ، حتى يرتفع كل شك فيه ، ويلبسه الكلام كأنما كان مقدراً عليه . لكن هذه القطعة فيها إشارات تصرف الذهن عن معناها إذا كان معناها هو كل ما ذكر سيد قطب . وأول ما تلقى فيها من هذه الصوارف هو هذا القمقم السابح في الدم ، فانك تحاول جهدك أن تجد له تفسيرا حتى بعد معرفتك مرمى القطعة فلا تستطيع .

ثم ليكن ذلك القمقم ما يكون ، فعند أي طرفي الحب هو ؟ إن كان عند المحب فهو لا شك يعرف رغبة نفسه ويعرف طريق التعبير الذي يريد ، فلا حاجة إلى معجم عريف الطلاسم ليحل له اللغز . وإذا كان القمقم للحبيبة وكانت سعادته هو مسجونة فيه — كما هو الأقرب إلى المعقول — قام تفسير السيد قطب وتطبيقه نظرية فرويد حائلاً دون ذلك ، إذ تصبح النوازع والرغبات المكبوتة هي نوازع الحبيبة ورغباتها ،

فكأنها هي التي تشتهي القبلة لا هو ، والشعر صريح في أن عكس ذلك هو المقصود

فالقطعة كما ترى متخاذلة متضاربة إن حاولت أن تطبق عليها كل علم سيد قطب ، وأن تفهم منها بالعقل ما فهم هو منها بالوهم . أما إذا تركت النظرية العلمية جانباً وحاولت أن تفهم من القطعة مرادها في بساطة بدليل البيتين اللذين ذكرنا لك ، أصبح للقطعة معنى مفهوم على غموض فيه وعيوب فيها . فما دام المطلوب هو قبلة من الحبيبة فيها سعادة الحب ، والحبيبة هي التي تملك منحها من فمها الشبيه إلى حد ما بالقمقم ، أمكن توجيه القطعة وتبرير الشاعر إلى حد كبير في تخيله أن سعادته المتمثلة في قبلة من حبيبته محبوسة في فم تلك الحبيبة حتى تطلقها هي . أما وصف القمقم بأنه سابح في اليم فيجب حمله على ضرورة الشعر والقافية ، أو على أنه وصف معيب لشدة احمرار الشفتين ، أو على أن الشاعر أراد أن يلغز في قبلة فجاء بهذا الوصف وبغيره ليعمي على القارئ بعض التعمية

فأنت ترى أن القطعة لا تحتاج إلى علم فرويد أو علم سيد قطب لحلها ، بل هي تزداد تعقيداً وبعداً عن المعقول إن أنت حاولت إدخال العلم فيها . لكن العقاد لا يكون هو ماهو عند سيد قطب إلا إذا حشر العلم في شعره ، وإلا فبم يمتاز العقاد على الرافعي ويمتاز هو عن مثل شاكر والعريان ؟

هذا عن المثال الأول . أما المثال الثاني فقطعة مأخوذة عن « عابر سبيل » تحت عنوان « أبناء النور — الزهر يخاطب الجوهر » وهي في رأينا قطعة حسنة أوضح كثيراً من القطعة الأولى ، لكنها لا تحتاج من العلم لفهمها أكثر مما يعرف الطالب الثانوي عن انعكاس الضوء وانكساره وامتصاصه ، وعن التمثيل الخضري في النبات . وليس هناك بعد ذلك إلا خيال الشاعر في التصوير يجاريه خيال القارئ في التصور . وقد أحسن كل الاحسان حين لخص الموقف في طول عمر الجوهر الجاد وقصر حياة الزهر بقوله على لسان الزهر يخاطب الجوهر :

ومعدن النور فيك حي وفيك معنى الحياة فان
فيا زماناً بلا حياة إلى حياة بلا زمان

وإن كنت تلمح شيئاً من تقصير اللفظ عن المعنى في قوله :

« وفيك معنى الحياة فان » فإن « فان » في الغالب لا تستعمل إلا للدلالة على الموت الذي سيكون بدلا من الموت الواقع ، لكن الشاعر المقيد بالقافية قلما يجتمع له في الشعر كل ما يريد . على أن المهم فيما نحن بصدده هو ما في تقدير سيد قطب للثقافة اللازمة لفهم القطعة من الاسراف والتهويل

أما المثال الثالث فهو قول العقاد :

بك خف الجناح يا أيها الطـير وما كنت بالجناح تخف
لطف روح أعار جنبيك ريشاً فمن الروح لا من الريش لطف

وهما بيتان ليس فيهما معنى كبير ، وليس فيهما من الصنعة أكثر من عكس الترتيب الطبيعي وهو كثير في الأدب العربي ؛ لكن سيد قطب الذي لابد أن يجد لكل قول للعقاد معنى علمياً ما أمكن ذلك ، يتمثل في هذين البيتين نظرية علمية يحكيها في قوله « فعلم وظائف الأعضاء يقول إن الوظيفة تخلق العضو » ويطبق النظرية بقوله : « فوظيفة الطيران هي التي خلقت الريش وقبله الجناح ! » ، فجاء قوله هذا دليلاً واضحاً على أن الأديب إذا لم يترب تربية علمية ، وجمع آراءه وأفكاره العلمية من الكتب والمجلات ، يكون أميل إلى تصديق كل ما يساق إليه باسم العلم وإن خالف في ظاهره المعقول . وإلا فكيف يمكن أن تخلق وظيفة الطيران الريش والجناح قبل أن توجد الوظيفة نفسها ؟ إذ من الواضح أن لا طيران ولا وظيفة طيران في طائر قبل أن يوجد الريش والجناح . فلو قال قائل مثل هذا الكلام من غير أن ينسبه للعلم لكان موضعا لتهكم صاحبنا واستهزائه . أما وقد نسب هذا الكلام إلى العلم فيما قرأ فهو يقبله من غير نظر ولا تمحيص .

إن المقول ليس هو خلق الوظيفة العضو ، ولكن تنميتها إياه . فالعضو لا بد أن يوجد لأداء الوظيفة ، واستعماله فيها بعد ذلك ينميه ويقويه ويرقيه . أما سبب إيجاد العضو فليس العلم يعرفه وإن حاول بعض العلماء أن يفسره بتلك هذا الفرض الذي لا يفسر شيئاً ، والذي لا يعبأ العلم به في الواقع لأنه لا يمكن أن يختبر صحته لا بالتجربة ولا بالمشاهدة . والفروض العلمية لا حرج على العلماء في فرضها . فليفرض منهم منها ما شاء ما دام ذلك يساعده على التفكير . لكن العلماء يعرفون أن لا قيمة لهذه الفروض ما لم

تساعد على إجراء تجارب ومشاهدات لاختبارها ، وما لم تؤيدها هذه التجارب والمشاهدات بعد إجرائها؛ لكن غير العلماء يكبرون كل ما ينسب إلى العلم وينزلونه من عقولهم منزلة واحدة، فلا يفرقون بين حقائقه ونظرياته وفروضه . وعندنا أن مسارعة المشتغل بالأدب إلى قبول مثل هذا الفرض الذى يخالف المعقول تنازل من ذلك الأديب عن حرية التفكير التي يحرص عليها مثلا وبغالى فيها إذا كان الموضوع لا يتصل بالعلم ولكن يتصل بالدين

والمثال الرابع الذى ضربه سيد قطب لاتساع ثقافة العقاد وتفوقه بها على الرافعي يتصل بنظرية دروين ، وهو مقطوعة « الجيبون » أو « أمام قفص الجيبون » وأحسن ما فى هذه المقطوعة خيالها؛ أما اتصالها بالواقع وبحقيقة نظرية دروين فليست منه فى شيء كبير . إنها تذكر النظرية كما يفهمها غير العلماء ، فتجعل « الجيبون » أبا العبقرى أى الانسان ، وتجعل الناس أبناء « الجيبون » . والناس في العادة ينسبون هذا الرأى لدروين ودروين منه برىء ، فان دروين لم يقل إن الانسان أصله قرد كما يقول العقاد ، وإن صح أن يفهم من نظريته فى أصل الأنواع بالانتخاب الطبيعي أن القرد والانسان يرجعان فى سلسلة النشوء إلى أصل واحد بعيد ليس بقرد ولا إنسان ، فترقى فرع عن هذا الأصل فصار إنساناً ، وسار فرع آخر سيرة أخرى فصار قرداً .

فقول العقاد للجيبون :

كيف يرضى لك البنون مقاماً مزرياً فى حديقة الحيوان

قول يدل على سوء فهم لنظرية دروين

ثم إن النظرية لا تقول بأن الفرق بين الانسان والقرد فرق زمنى فى صميمه ، ولا أن الانسان أقدم من القرد حتى يصح لأحد أن يظن أن القرد إذا استوفى زمنه ومرت عليه ملايين السنين صار إنساناً . إن القرد أقدم ظهوراً على الأرض من الانسان فى حكم العلم إلى الآن ، فلو كان القرد يستطيع رقياً إلى الانسانية لترقى . إن سنن الترقى قد حكمت حكمها بين الاثنين ، فلن يصير القرد إنساناً مهما عاش ، وإن جاز أن ينحط الانسان فيصير قرداً أو شبه قرد إذا قصر فى استعمال ما وهبه الله على الوجه الذى اختاره الله له حقبة كافية من الزمن ؛ فان هناك سنة انحطاط بالترك والاهمال والمعصية ، كما أن هناك سنة ارتقاء بالاستعمال والاحسان والطاعة

والناس يعطون نظرية دروين فوق ما لها من قوة عند العلماء فيظنون أنها تفسر خلق الأنواع ، ويضل منهم بهذا الظن من يضل إذ لم يبق عنده لوجود الإله من داع . لكن النظرية فى حقيقتها لا تفسر إلا حفظ الأنواع ، أما مجيء الأنواع وخلقها فان النظرية لا تفسره . هى — كما يقول دريش فى محاضرات جيفورد التذكارية — سلبية الأثر لا إيجابيته: تفسر كيف انعدم المنعدم من الأنواع ، ولا تفسر كيف وجد الموجود

على أن من المهم أن ننبه فى هذا المقام أن سنة التطور لا يشك فيها الآن أحد من العلماء ، لكن طريق التطور وعلله وأسبابه هى موضع الأخذ والرد والبحث بينهم . فأخونا على الطنطاوى كان على حق حين أنكر نظرية دروين كما يصورها العقاد فى مقطوعته ، والذى انتقده فى الرسالة على حق فى قوله : إن التطور يقول به كل العلماء المعتد برأيهم ، وعلى باطل إذا كان قصده بهذا أن هؤلاء العلماء يفهمون من التطور ما فهمه ووصفه العقاد فى مقطوعته

فمقطوعة العقاد إذا أخذت بتفاصيلها العلمية مبنية على خطأ كبير ، وهى من الناحية العلمية لا تساوى أكثر مما يعتقده الناس عادة فى نظرية دروين ؛ وإذا أخذت من الناحية الشعرية الخيالية وحمل خطؤها العلمى على أنه خيال شاعر كان لها شيء من القيمة ، ولكن شتان بين قيمتها هذه وبين ما يدعيه لها سيد قطب بضعفه العلمى وافتتانه بالعقاد

فالعلمية التى يقيس بها سيد قطب تفوق العقاد على الرافعي علمية ضعيفة ناقصة فى بعض الأمثلة ، ومهوّلة هوّلها الوهم والافتتان فى بعض الأمثلة الأخرى . وهى فى الحالين لا تزيد شيئا عنها فى الأمثلة التى جاء بها من كلام الرافعى واتخذ منها سببا للزراية عليه ، وإن سلمت أمثلة الرافعى من الخطأ الذى وقع فى بعض أمثلة العقاد .

ومن أول ما تهكم به على الرافعي من هذا النوع قوله فى حبيبته :

سيالة الاعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها

وقوله فيها أيضاً :

يانجمة أنا فى أفلاكها قمر من جذبها لى تدأصلت أفلاكي

ولا يزيد قطب فى نقد هذين البيتين على أن يقول مبالغة فى الايحاء بتهكه إلى القارىء : « ولا شيء وراء هذا العبث الذى

لا تزيده نقاشا » ! . ويظهر أن عيب هذين البيتين وأمثالهما عنده هو وضوح معناها ، فان الرافعي عنده « سهل جداً لا يكلف مجهودا ولا عناء » ، مع أننا لا نظنه يفهم كثيرا من « حديث القمر » لو أعاد قراءته الآن . فصعوبة الكلام على فهمه مزية يكبر بها الكلام عنده فيما يظهر ، ويسميها في العقاد سموا وسموقا وإن كان يسميها في الرافعي مداحلة ومماظلة ! هذا هو القياس عنده في الواقع لا العلمية ، وإلا فأى فرق في العلمية بين المعنى العلمي الواضح والمعنى العلمي الغامض لو كان يقيس قياسا صحيحا ؟ بل الوضوح في المعاني العلمية أحق بالتقدير في الأدب من الغموض

إن السبيل في مثل هذا أن ينظر إلى دقة المعنى العلمي ودقة التطابق في الاستعارة بين الحقيقة وبين المجاز . وليس أصدق في التعبير عما يعترى المحب من هزة ورجفة إذا اقترب منه حبيبه من تشبيه ذلك بالهزة التي تعترى من يسرى فيه سيال كهربائي . ولا يقدح في التعبير وحسنه ولا في البيت وصدقه أن المعنى العلمي المستعار معروف مألوف ، فذلك مما يزيده حسناً عند من يريدون بالكلام الافهام لا الابهام . أما البيت الثاني فهو من باب الاستعارة التمثيلية النادرة . وهو بيت بقصيدة وحده . ثم معناه ليس بالشائع المبتذل ، والقانون العلمي المشار إليه فيه أعم وأهم من نظرية داروين . فذلك البيت الفريد ليس فيه عيب ولكن العيب في ناقده الذي يكيل بمكيالين ويفكر بمنطقين

ومثل هذا البيت الثاني قول الرافعي لحبيبه الناسي له :

يامن على البعد ينسانا ونذكره — لسوف تذكرنا يوماً وننساكا
إن الظلام الذي يجلوك يا قمر — له صباح متى تدركه أخفاكا

وهذا البيت الثاني هو أيضاً من الاستعارة التمثيلية النادرة والمعنى المستعار ظاهرة طبيعية معروفة مألوفة ، لكن المطابقة بين حال الرافعي في شقائه بحبه المنسي ورجائه الفرج بالنسيان ، وبين ظلام الليل يجلو القمر فاذا جاء الصباح أخفاه — هذه المطابقة في الاستعارة مطابقة نادرة لا يكاد الانسان يقضي حقها وحق أمثالها عجباً . لكن صاحبنا الذي يرمي الرافعي ومن معه بأنهم شكليون يخطئ جوهر الموضوع مرة أخرى فلا ترى من البيت إلا تمثيل الحب بالظلام ، والحب عنده لا يكون ظلاماً أبداً فالرافعي لا يمكن أن يكون ذاق الحب أبداً ، وليس يشفع للرافعي أن الحب الذي شبهه بالظلام هو حب شقى به لنسيان حبيبه إياه ، فلا يصح في إنصاف ولا في أدب أن يقاس على حب آخر يسعد به صاحبه لاستجابة حبيبه له فيه . لا ! الحب أياً كان لا يمكن أن يكون ظلاماً عند سيد قطب ؛ فمن رآه ظلاماً فقد زل زلة بألف ، ودل دلالة قاطعة على أنه شكلي لم يذق الحب قط ! ليت شعر النقد — إن صح هذا — ماذا يكون الحكم فيمن شبه الحب بالجحيم وظلمتها ؟ ومن هو ؟ سيد قطب ! هو سيد قطب في شعره الذي نشره بالرسالة (عدد ٢٣٠) بعنوان « ريحانتي الأولى أو الحرمان »

وإليك بعضه إن كان لا بد أن نذكر لك منه مثالا :

ريحانتي الأولى وروح شبابي — أنذا دعوت سمعت رجع جوابي
أنا في الجحيم هنا وأنت بجنة — من روح إعجاب وريق شباب
أنا في الجحيم وأنت ناعمة المنى — خضراء ذات تطلع وطلاب
أنا لا أريدك ها هنا في عالمي — إني أعيذك من لظى وعذاب

ولكيلا تظن أن سيد قطب يتفلسف حين يقول هذا اقرأ له من مقطوعة أخرى من نفس الشعر :

عيني رعتك وأنت نابتة فلم — تغفل ولم تفتر ولم تتألم
حتى إذا أينعت وانطلق الشذى — ألفيت نفسي في صميم جهنم
ملقى هنالك لا أحس ولا أرى — إلا الشواظ وكل داج معتم

أفي نور هذا من حبه يا ترى أم في جب من جهنم ؟ هذا هو الذي لم يعجبه بيت الرافعي فتجنى عليه ما تجنى وأطال قلمه فيه بما أطال ، وأنساه تجنيه وهواه الواقع وما خطت يمينه قبلها ببضعة أشهر ليكون كلامه حجة عليه يفضحه الله به ، وليعلم الناس أجمعون أن مقالات « بين العقاد والرافعي » كتبها عابث يتجنى لا ناقد يتحقق ، ولا أديب يبتغي وجه الأدب

محمد أحمد الغمراوي

***

وقع في المقال السابق بعض غلطات مطبعية هنا تصويب أهمها :

ص ١٢٦٧ عمود ٢ سطر ٤ بقي بعض الاقسام : صوابه بنفس
« ١٢٦٨ « ١ « ٨ الرافعي عن نفسه : صوابه الرافعي نفسه
« ١٢٦٨ « ٢ « ١ تثبت المقدمة : صوابه تثبت

٢ – البحث عن غد

للكاتب الانجليزى روم لاندو

للأستاذ على حيدر الركابى

روم لاندو كاتب انجليزى معروف ، زار بلاد الشرق الأدنى زيارة المستطلع الباحث ، ثم دون ما رأى وسمع فى كتاب نشره بعنوان « البحث عن غد » وقد نشرنا ما يتصل بمصر مترجما بقلم الأستاذ العقاد فلم يعترض على قوله أحد ؛ ثم أخذنا ننشر ما كتب عن لبنان وسورية مترجما بقلم الأستاذ على حيدر الركابى فلم يكد ينشر المقال الأول حتى ثارت النفوس فى بيروت لهذا الحديث الغريب الذى نسبه الكاتب إلى رئيس الجمهورية اللبنانية، وعقدت الوزارة مدفوعة بهذه الثورة جلسة خاصة أبرقت على أثرها إلى الرئيس تسأله وهو فى عرض البحر عن هذا الحديث ، فأجاب بأنه لم يعط حديثا كهذا وطلب من الحكومة أن تكذبه فكذبته . إزاء هذا التكذيب الرسمى لم نشأ أن ننشر ما كتبناه وكتبه غيرنا تعليقا على هذا الحديث الطائش، ولكن بقى لنا أن نسأل : من الذى زور هذا الحديث على فخامة الرئيس ؟ لا يمكن أن يكون أحد غير الكاتب الانكليزي نفسه ، لأن الحديث لم ينشر فى صحيفة يجوز عليها الدس والغفلة ، وإنما نشر فى كتاب أصدره الكاتب تحت اسمه وعلى مسؤوليته، وسمى فيه الأشخاص وذكر المكان والزمان والمناسبة، فلا مناص إذن من أن تتخذ الحكومة اللبنانية إجراء قضائياً أو دبلوماسيا نحو الكاتب (الكاذب) ليتسنى له هو أيضا أن يقول كلمته «المحرر»

الجمهورية اللبنانية

وجهة نظر المعارضة

لقد تحدثت إلى أحد الوزراء كما تحدثت إلى بعض الوجهاء فلمست منهم تأييداً لوجهة النظر الرسمية التى بسطها رئيس الجمهورية، حتى إن بعضهم أكد لى بأن الوحدة العربية إنما هي الوحدة الاسلامية بعينها . ومع ذلك فإن زعماء المسلمين الذين زرتهم قد نفوا لى هذه الفكرة . ومما يؤيد صحة نفيهم أن الشعور الدينى لدى مسلمى لبنان سائر نحو الضعف بصورة جلية تجعل المرء يعتقد أن ميلهم إلى الوحدة العربية لابد أن يكون مبنياً على أسس غير الأسس الدينية . وهذا ما قاله لي عربى من كبار رجال التعليم فى بيروت :

« لا بد لنا إذا أردنا الحياة من أن نتعاون فى الأمور العسكرية والاقتصادية، ولا يتحقق هذا التعاون إلا بواسطة الوحدة العربية أو — فى بادئ الأمر — الوحدة السورية . إن الناحية العنصرية لا تهمنا كثيراً، ولكن اشتراكنا فى اللغة وتحملنا نفس المصاعب لما يدفعنا للسعى وراء نوع من أنواع الاتحاد . قد تختلف بلاد مصر ونجد والحجاز وشرق الأردن وسورية والعراق الواحدة عن الأخرى، إلا أن أمام كل واحدة منهما مشاكل متشابهة يجب حلها، منها تعليم الفلاحين والبدو وسكان الجبال، وتعميم الوسائل الحديثة لحفظ الصحة العامة ، ورفع المستوى العام من الناحيتين الثقافية والاجتماعية . إن التعليم فى مصر نفسها لا يتعدى طبقة محدودة راقية . وهناك رابطة التاريخ المشترك التى تعطينا الحق فى أن نفتخر بماض زاهر، ونسعى لاحياء ذكرى هارون الرشيد . ولعلك تعتبر هذه الرابطة خيالية وعاطفية ، ولكنى أؤكد لك أننا نعتبرها دائماً حقيقياً وقوياً لنا فى نهضتنا . إن الماضى يمكن أن يصبح حاضراً مرة ثانية إذا اتحدنا مع سورية أولا ، ثم مع الأقطار العربية الأخرى »

قد يظن البعض أن العرب الذين يعتنقون فكرة الوحدة السورية غارقون فى بحر من الأوهام . والواقع أن فكرتهم هذه بالرغم من غموضها لأجدر بالتقدير من فكرة الرجال الرسميين ذوى الخبرة الواسعة وأتباع الحقيقة دون الخيال الذين اتضح لى أن تفكيرهم محصور لا يتجاوز مراميهم القريبة . لقد وجدت أنصار الوحدة السورية من العرب عنيفين وغير منظمين، إلا أنى واثق فى نفس الوقت من أنهم أصحاب بصيرة، وأن نار إيمانهم بمثلهم الأعلى لتتأجج تأجج النيران العظيمة فى باطن الأرض

وقد اتضح لى — كما كنت أتوقع — أن كلا الفريقين : الرسمى والعربى كان متطرفاً قد خفى عليه جزء من الحقيقة . وهذا أمر طبيعى فى بلاد أصبحت القومية فيها قوة ذات قيمة بالرغم من حداثة عهدها . والواقع أن ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة الثروة قد ولدا فى اللبنانيين ميلاً إلى احتراف السياسة (1)

(1) أى اتخاذها وسيلة إلى النفع المادى (mercenary)

سواء أكانوا من السياسيين المسيحيين أم المسلمين . وقد سلم بعض العرب فى لبنان بالفكرة القائلة بأن البلاد لا يمكن أن تستغنى عن فرنسا ، وأن الصواب يقضى بالاعتراف بالأمر الواقع ونبذ أحلام الوحدة العربية . وهذا الشعور بالانخذال defeatism قد جعلهم أقل إيماناً بتحقيق المثل العليا فى عرب سورية . ومن نتيجة ذلك — على ما يقال — أن الأغراض الشخصية تلعب فى بيروت دوراً أعظم من الذى تلعبه فى دمشق

النصرانية العملية

إن أعظم مشكلة معقدة يجابهها لبنان هى مشكلة الدين ، فاننا نرى من جهة أن المزج بين السياسة والدين قد حشر الدين فى أمور غريبة عنه فى الأصل . ومن جهة أخرى فان الدين قد أصبح بعيداً كل البعد عن أسسه المشروعة

ليست حكومة لبنان حكومة حزبية ولا هى بالحكومة ذات الاختصاص الفنى البعيدة عن الأحزاب، وإنما هى حكومة تتشكل من ائتلاف دائم يمثل الطوائف المختلفة . فان كلا من الوزير والموظف الادارى والمعلم وطبيب البلدية يعين بالنظر إلى طائفته لابالنظر إلى مقدرته الفنية . وقد أدى تدخل الكنيسة فى السياسة إلى إساءة الاستعمال كما أدى إلى انحطاط عام في الدين . وقد كان جميع من تحدثت إليهم (وبينهم أستاذ الجامعة والسياسى والتاجر وصاحب العمل الحر والمسيحى والمسلم) يجمعون على الشكوى من أعمال الكنيسة السياسية، ومع ذلك فلم أجد لدى أحد ما الجرأة الكافية لمعالجة هذا الموضوع

إن الفرنسيين يفتخرون فى بلادهم بفصل الدولة عن الكنيسة، ولكنهم فى لبنان قد استعملوا الاكليروس المارونى منذ البدء لتحقيق غاياتهم السياسية . إن كليات اليسوعيين الفرنسيين ومدارسهم نفسها قد أصبحت مراكز للدعاية الفرنسية، حتى إن أكثر القسيسين الفرنسيين يعتبرون أنفسهم جنوداً يخدمون الراية المثلثة الألوان كما يخدمون الصليب . وقد شعر رجال الاكليروس من غير الموارنة أنهم لايجوز أن يتأخروا عن إخوانهم فى هذا المضمار فدخلوه بدورهم ، وأخذوا يستعملون نفوذهم الدينى لتحقيق الأغراض السياسية . أما المسلمون فان دينهم فى الأصل لم يفرق بين القوانين الدينية والمدنية ، ومع ذلك فقد كانت سلطة الأئمة والمفتين فى الأمور غير الدينية لا تشمل غير الأفراد التابعين لهم . أما الآن فقد أصبحوا هم أيضاً يلعبون دوراً سياسياً

إن الدولة المنتدبة لم تعمل شيئاً للوقوف فى وجه حركات رجال الدين السياسية، بل هى على العكس قد شجعتهم عليها لأنها أدركت أن أي خلاف ينشب بين فئات متباينة من أهل البلاد من شأنه أن يقوي مركزها . إن روح الاستخفاف التى تنطوى عليها هذه السياسة قد بينتها جريدة الطان بجلاء، إذ أشارت فى مقال لها فى شهر يناير عام ١٩٢٦ إلى مهمة المسيو دو جوفنيل المندوب السامى الجديد بهذه العبارة : « إن وظيفة المسيو دو جوفنيل لواضحة تماماً : فهو يجب أن يفرق لكى يسود » على أن خطر هذه السياسة قد أخذ يتناول الفرنسيين أنفسهم، فالمارونيون شرقيون فى الدرجة الأولى وإن كانوا نصارى ؛ ولا رغبة لديهم فى أن ينقادوا لفرنسا انقياداً أعمى . ومن المحتمل أن يجدوا أنفسهم فى المستقبل فى صف المسلمين

والانصاف يقضى بأن نعترف بأن اشتغال رجال الدين بالسياسة لم يمح كل أثر للشعور الدينى، فاننا نجد بين النصارى طائفة لا تزال شديدة التمسك بالدين ، ألا وهى طائفة الأرمن، وكذلك الفلاحون فى الجبال الذين يختلفون عن باقى فلاحى الشرق الأدنى بسمو أخلاقهم. أما الاسلام فهو منذ الحرب العظمى قد أخذ نفوذه يضعف. وأما الدروز فانهم على الرغم من تمسكهم بدينهم كادوا يفقدون تأثيرهم فى حياة المجتمع الروحية بسبب اعتصامهم وراء طقوس دينهم السرية

إن الكثيرين من مثقفى النصارى والمسلمين لا يفرقون بين الدين كما هو معروف فى بلادهم وما تتطلبه الحزبية من دسائس وفساد . وهذا ما حمل بعضهم على الافتخار بأنه لادينى؛ ففى بادئ الأمر كنت أستغرب قول بعض المتمسكين بتعاليم الدين لى بأنهم ضد الدين، ولكنى ما لبثت أن أدركت أنهم يقصدون بذلك أنهم ضد رجال الدين

إن الحكومة اللبنانية تشعر بضعفها وهي لهذا لا تجرؤ على السعى للقضاء على نفوذ رجال الدين السياسى لكيلا تعرض نفسها لغضب قسم من رعاياها عليها

« يتبع » .

علي حيدر الركابي

فتاوى شرعية

معضلات العصر

للأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

وزير معارف الحكومة المغربية

— ١ —

إن أهم ما اهتم به النبيون والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين ثم الفلاسفة الأقدمون والمتأخرون ؛ والعلماء المؤلفون ، معضلات عصورهم التى تهم الفكر العام . وعليها يتوقف تحسين حال مجتمعهم وإن كان فى غفلة أو إغفاءة عنها فى بعض الأوقات

فى عصر نبينا العربى عليه صلوات الله وسلامه ، كان أهم معضلة هى الوثنية وفساد المعتقد وتنوعه فى جانب الله ؛ وعن ذلك ينشأ تشتت الأفكار ، وفداحة الجدل . ثم رداءة حال العرب بل العالم من حيث افتقاره إلى شريعة منظمة تكون رابطة متينة للمجتمع تذهب بها فوضى الحقوق والأخلاق، وتنتظم بها الأحوال وتتناسق الأعمال

وهكذا النبيون قبله ، ما من رسول إلا وقد جاء بحل أهم المعضلات ، وأعقد المشكلات ؛ وكذلك الفلاسفة اليونانيون وغيرهم ما كانت فلسفتهم إلا لحل مشكلات عصورهم ، يعلم ذلك من يتتبع موضوعات مؤلفاتهم المتنوعة

ثم كان علماء هذه الأمة الكريمة على ذلك ، فتجد أكثرهم يؤلف فى النوازل التى تنزل أو يتوقع نزولها بسد المعضلات. وبالنظر فى كتب الفتاوى والأحكام يتبين ذلك ، بل لا تجد كتاباً فى فن إلا والقصد منه سد فراغ وكفاية حاجة من حاجات المجتمع فى نظر مؤلفه

بناء على هذه السنة جعلت هذه الأوراق أجوبة على أسئلة ثلاثة وردت على من عالم نبيل من علماء أشقودرة (ألبانيا) يطلب منى الجواب عنها وهى :

١ — لبس البرنيطة ٢ — قبض مرتب بدون عمل ٣ — مفتريات أهل الطريقة التجانية

وهذا نص السؤال ، ويليه الجواب :

«صاحب الفضيلة والسماحة والأيادى الجليلة ، لازالت أعماله مشكورة، وآثاره مبهورة ، الأستاذ الكبير الإمام الشيخ محمد ابن الحسن الحجوى الثعالبي الجعبرى وزير معارف الحكومة المغربية . بعد إتحافكم درر التحيات السنية،وغرر التسليمات البهية، أعرض أن كثيراً ما يجول فى عقولنا ويخطر ببالنا الترامى إلى أعتابكم الشريفة سائلين منها حل مسائل يكون الناس فيها ما بين كفر وضلال، وكثر فيها القيل والقال ، حتى افترق الناس فريقين فى أكثر البلاد خصوصاً فى بلادنا الالبانية وأشقودرة ، إلا أن الشواغل التي كثرت لديك من المسائل العلمية التى توجه إليك من جميع الأطراف قد منعتنا من السؤال عنها،لكن عند ما اشتدالخلاف فيها الآن بحيث صار لا يمكن أن يدفعه أحدغيرك فى اعتقادنا ماوجدنا مناصاً من أن نطلب ونرجو من فضيلتكم أن تضع هذه المسائل فى مقدمة المسائل التى تعنى بها عناية كبيرة لما لها من شأن عظيم وهى :

مسألة البرنيطة أو القبعة [1] كان ملك ألبانيا قد أصدر أمراً لكل رجل موظف له مرتب شهرى أن يلبس البرنيطة وإلا يعزل عن الوظيفة والمأمورية؛ فهل يجوز لذلك المأمور الموظف أن يلبس البرنيطة تبعاً لأمر الملك أو يترك الوظيفة والمعاش ويقبل العزل ؟ وكذلك قرر مجلس وزراء ألبانيا أن يلبس البرنيطة جميع الصبيان الذين يداومون بالتحصيل فى المدارس والمكاتب ، فهل يجوز أيضاً لآباء وأولياء هؤلاء الصبيان أن يلبسوا البرنيطة الصبيان أم يقبلوا طردهم وإخراجهم من المدرسة ويتركوهم بدون تحصيل ولا تعليم خصوصاً فى هذا الزمان ؟ يعنى هل يعد التحصيل والمعاش ضرورة للبس البرنيطة أم لا ؟ وغير الوظفين والمأمورين من العوام قد تركهم الملك مخيرين إن شاءوا لبسوا لباس القوم الأرناءودى مع الطربوش الأبيض كما هى عادة أهالى أشقودرة وألبانيا . وهؤلاء الذين تركهم الملك مخيرين هل يباح أو يكره أو يحرم عليهم لبس البرنيطة أو يكفر لابسها

(١) اشتهر فى الشرق إطلاق القبعة بوزن قبرة على ما يطلق عليه لفظ برنيطة وإنما القبعة فى اللغة ثوب يخاط كالبرنس يلبسه الصبيان كما فى القاموس وفى المنجد البرنيطة عربيتها القلنسوة . اهـ

إن لبسها بالاختيار . ثم إن القلنسوة التي ذكرها الفقهاء في الكتب الفقهية بقولهم : من وضع قلنسوة المجوس على رأسه قيل يكفر وهو الصحيح ، وقيل لا يكفر . ما المراد بهذه القلنسوة؟ أهي التي جعلوها علامة على خدمة دينية أو الدخول في الدين كطيلسان اليهود وجبة القسيس وما يلبسه صبيان النصارى وبناتهم حين الدخول في التكليف الديني ، أم تشمل كذلك القلنسوة التي لم يقصد منها الدلالة على الدين، وإنما هي لباس أمة صادف أن كان كلها أو معظمها غير مسلمين بحيث يلبسها النصراني واليهودي ومن كان يوله من تلك الأمة ، بهـا وكذا يلبسها المسلمون في هذا الزمان ، يعني ما الفرق بينهما ؟

المسألة الثانية : رجل ألباني أو بغدادي أو شامي مثلاً في دار يأخذ مرتباً شهرياً سياسة من الحكومات المتجاورة مثل إيطاليا أو فرنسا : أو قرّ وخرج من دار سياسة أيضاً إلى دار أخرى ويأخذ من تلك الحكومة التي يقيم فيها هل يحل لذلك الرجل أن يأخذ فرنكات كثيرة من تلك الحكومة المجاورة أم لا

المسألة الثالثة : وهي أن الطريقة التجانية المنتشرة في أكثر البلاد حتى البلاد الأرناؤودية ولا سيما بلدتنا أشقودرة هل المندمج فيهـا غير مناف للشريعة الغراء ، ومنتسبو تلك الطريقة يدعون أفضلية قراءة (صلاة الفاتح) لما أغلق على تلاوة القرآن ستة آلاف مرة وهو أكبر الأذكار متأولين بأن ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بآداب القرآن كما فصله في (كتاب جواهر المعاني) المنسوب إلى التجانية ، وأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الصلاة الخاصة إنما يترتب عليها الثواب إذا اعتقد أنها من كلام الله القديم من قوله عليه السلام : من صلى علىّ مرة صلى الله عليه عشراً . وإن تلك الصلاة مع فضيلتها بتلك المثابة لم يعلمها النبي عليه السلام لأحد إلاّ لمؤسس تلك الطريقة ، وفي ذلك ما لا يخفى من لزوم الكتمان ومنافاته للتبليغ المأمور به عليه السلام ؛ وإن مؤسس تلك الطريقة أفضل الأولياء ، مع أن الإجماع هو أن الأفضل بعد نبينا محمد عليه السلام الخلفاء الأربعة على الترتيب المعلوم ؛ وأن من انتسب إلى تلك الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ويغفر ذنوبه الصغار والكبار ، حتى التبعات وغير ذلك مما هو مبسوط في الكتب التجانية .

فهنا نحن متعطشون لفتواكم فهي لنا بمثابة نور يسطع وسط الظلمات فيبددها حتى نكون بعد ذلك على طمأنينة ، ولذلك نطلب ونرجو من فضيلتكم توضيح هذه المسائل المهمة بالبراهين القاطعة والأدلة المقنعة موقنين أنكم ممن يعملون بقوله تعالى (وأما السائل فلا تنهر) نسأل الله تعالى أن يفيض عليك من نعمه ، ويمدك بوافر فضله وكرمه ، وأن يقيك من جميع البلايا والآفات ، في جميع الأزمان والأوقات ، وتقبلوا فائق احترامي وجميل شكري

أحد منتمى العلم في بلدة أشقودرة

حافظ ابراهيم ريبشطى

وأن تتفضل بإرسال الأجوبة الشافية بكتاب خاص بالعنوان بالحروف اللاتينية :

Hafiz Ibrahim Repishti
Albania Scutari

انتهت الأسئلة بحروفها

(يتبع) محمد بن الحسن الحجوي

مصر والبلاد العربية

للدكتور زكي مبارك

أشكر لأدبكم وكرمكم التفضل بالحضور للتسليم على صديق كان اغترب مدة فى سبيل خدمة العلم فى العراق

وأعتذر عن كلة « اغترب » وأقترح حذفها من المعاجم فهى كلة تفردت بها اللغة العربية ، ولا يكاد يوجد لها نظير فى اللغات الأجنبية، ومن لغة العرب نقلت إلى الفارسية والتركية وهى كلة حزينة يتمثل سوادها فى كلام من يقول :

وكل محبٍّ قد سلا غير أننى غريب الهوى ياويح كل غريب

وفى كلام من يقول :

أنا فى الغربة أبكى ما بكت عين غريب

لم أكن يوم خروجى من بلادى بمصيب

عجبًا لى ولتركى وطنًا فيه حبيبي

ولى مع هذه الكلمة الحزينة تاريخ ، فقد سببت أول معركة أدبية شهدتها فى العراق ، ذلك بأنى كنت نشرت مقالا فى مجلة الرسالة عنوانه « القلب الغريب فى ليلة عيد »

فعزّ على أدباء العراق أن أقول إنى فى بلدهم غريب ، ودار الجدل أشهراً حول ذلك المقال فى الجرائد والمجلات . والحنين إلى الوطن مرض لا يصيب غير الضعاف فى عالم الانسان والحيوان ، فأرجو أن يكون فينا من القوة مايعصمنا من هذا المرض العضال

أنا ما كنت غريباً فى العراق ، وإنما كنت بين أهلى وقومى . وإذا صح للمصرى أن يشعر بالغربة وهو فى وطن عربى مثل العراق فماذا تُرونه يصنع لو هاجر إلى بلد فى استراليا أو فى إحدى الأمريكتين ؟

لقد آن للمصرى أن يبرئ نفسه من ذلك المرض الذى يقضى بأن يتوجع حين تنقله الحكومة من القاهرة إلى حلوان ، آن للمصرى أن يفهم أن فى دمه روحاً عربياً يسوقه إلى الانتقال من أرض إلى أرض فى سبيل المنافع العلمية والأدبية . آن للمصرى أن يفهم أن رجولته لا تكتمل إلا إذا واجه المصاعب واستطاع أن يخلق لنفسه ولوطنه أصدقاء فى مختلف البلاد

وما أقول إنى كنت أقوى من سائر الزملاء الذين تشرفوا بخدمة العلم فى العراق ، وإنما أقول إنى رضت نفسى على التخلق بأخلاق أسلافنا من العرب فرأيت الأرض كلها وطناً أصيلا ولم تجر كلة الغربة على لسانى إلا تأثراً بالميراث الحزين الذى قضى بأن تتفرد لغتنا بكلمة « غريب » من بين سائر اللغات

ولما زار سعادة العشماوى بك مدينة بغداد دعا الأساتذة المصريين لسماع ما قد يكون عندهم من مقترحات أو شكايات ، فمضيت أبحث عمن أعرف منهم لأصدهم عن حضور ذلك الاجتماع فقد كنت أحب ألا يكون بيننا وبين حكومة العراق وسيط ولو كان ذلك الوسيط هو العشماوى بك الذى أحب العراق وأحبه العراق .

إن صداقتنا للعراق لاتزال فى أول عهد من عهود التكوين ، وهى لا تزال فى حاجة شديدة إلى من يحرسها ويرعاها ، وهى تستحق الحراسة والرعاية لأنها رباط بين أمتين كانت بينهما صلات ودية من أقدم عهود التاريخ

ولا يعرف قيمة هذه الصداقة إلا من زار العراق . فأهل العراق بودّهم المتينة يبثون فينا شعور الثقة بالنفس ، ويفرضون علينا أن نؤمن بأن جهادنا فى سبيل العلم والمدنية لن يضيع

أهل العراق منا ونحن منهم . ولو نطقت الأحجار لحدثتكم أن علماء العراق اتصلوا بمصر ونقلوا إليها علومهم ومعارفهم يوم أراد التتار أن يقرضوا حضارة بغداد

ولعل هذا هو السبب فى أن مخارج الحروف لا تتفق بين أمتين عربيتين كما تتفق بين مصر والعراق

أهل العراق منا ونحن منهم ؛ فالمؤلفات القديمة فى معاهد مصر هى فى الأغلب عراقية ، والمؤلفات الحديثة فى معاهد العراق هى فى الأكثر مصرية . فأرجوكم بالله أن تكونوا جميعا أنصارا للاخوة التى تربط بين مصر والعراق

وقد عجب بعض الناس حين رأونى أتصدى لدفع الأذى عن سمعة العراق، فاعرفوا إن شئتم أنى أدفع دينا ثقيلا . فأهل العراق فى

نص الخطاب الذى ألقاه فى حفلة تكريمه

أنديتهم وجرائدهم ومجلاتهم ومدارسهم يدفعون عن مصر قالة السوء ويخاصمون في سبيلها كثيراً من الناس، ولو عرفتم من ذلك بعض ما عرفت لرأيتم أن من القليل أن ينهض كاتب أو كاتبان للاشادة بفضائل أهل العراق.

إن القاهرة تقوم في العصر الحديث بالواجب الذي كانت تقوم به بغداد في عصر بني العباس، فمن واجب القاهرة أن تحمل من التكاليف ما حملت بغداد، بل من واجب القاهرة أن ترحب بمطلع اليوم السعيد الذي يقضي بأن يكون لها في الشرق منافس قوي هو بغداد، فتفرد القاهرة بالزعامة الأدبية قد يضر أكثر مما ينفع، لأن التفرد بالتفوق قد يخلق عيوباً أيسرها الزهو والخيلاء والاطمئنان إلى أن ليس في الامكان أبدع مما كان

وقد بدأت هذه العيوب تظهر مع الأسف، فأهل مصر شغلتهم ثقافتهم التي اتسعت وتشعبت عن التطلع إلى ما يبدع أهل العلم والأدب في العراق وسورية ولبنان وفلسطين والحجاز واليمن والجزائر وتونس ومراكش وما إلى هؤلاء من البلاد العربية؛ وانصراف أهل مصر عن الأدب في تلك البلاد يحجبهم عن تطور الحياة في أقطار حية سيكون لها باذن الله مكان بين الأقطار التي تسود العالم في المستقبل القريب

* * *

ومن الواجب في مقامي هذا أن أوجه أنظاركم إلى حقيقة لا يختلف في صحتها اثنان: تلك الحقيقة هي أن مصر تتفرد اليوم بالسيادة العقلية في البلاد العربية. فمؤلفات مصر ومجلات مصر ليس لها مزاحم يخشى خطره في تلك البلاد؛ وشعراؤنا وكتابنا هم الذين يقدمون الغذاء الأدبي لجمهور المتعلمين في الأقطار العربية، وبفضل إقبال أولئك الاخوان على مؤلفات مصر ومجلات مصر استطاعت اللغة العربية أن تقف على قدميها بجانب اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية. فاللغة العربية هي اليوم لغة حية حقاً وصدقاً، وهي تكافح وتناضل لتسيطر وتسود. وما كان من الغريب أن تسيطر اللغة العربية في أقطار كتب الله أن تستعرب منذ أجيال طوال، ولكن فساد الزمن وتوالي الأحداث والخطوب جعل سيادة اللغة العربية في بلادها من الغرائب، فلنفهم ذلك ولنواصل الجهاد، ولنعرف أن من أعظم الشرف أن نكون في الحياة من المجاهدين، ولنتذكر دائماً أن انتصار اللغة العربية في أوطانها هو البشير بأن تلك الأوطان تستعد من حيث تشعر أو لا تشعر لحياة مجيدة سترون أعلامها بعد حين

وإخواننا العرب يعجبون من تفرد مصر بالتفوق في اللغة العربية، فان أذنوا شرحت لهم بعض أسرار هذا التفوق. فمصر هي الأمة الوحيدة التي استعربت استعراباً تاماً، وصارت العربية لغتها الرسمية والقومية في مدة ترجع إلى ثلاثة عشر قرناً. وهذا حظ لم يظفر بمثله المغرب ولا الشام ولا العراق، فما انقرضت اللغة البربرية في المغرب، ولا اللغة السريانية في الشام، ولا اللغة العبرانية في فلسطين، ولا اللغة الكلدانية في العراق

وإنا لنرجو أن تكون لمصر يد بيضاء في رجوع اللغة العربية إلى بلاد فارس بفضل المودة الجديدة التي أنشأتها المصاهرة الملكية بين مصر وإيران. فمن المؤكد أن قادة الرأي في تلك البلاد سيراعون عواطفنا مشكورين فلا يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، كما فعل إخواننا الأتراك سامحهم الله حين استبدلوا الحروف اللاتينية بالحروف العربية

وقد وقع بيني وبين سفير إيران في العراق عتاب حين رأيته أول مرة في بغداد، ولم أكن أعرف أن الله سيخلق بيننا وبينهم صلات جديدة تجعل من الحق علينا أن نذكرهم بماضيهم الجليل في خدمة لغة القرآن يوم كان منهم كبار النحويين وكبار اللغويين

إن فرنسا لها مدرسة في طهران لنشر اللغة الفرنسية بين أهل إيران، فمتى يجيء اليوم الذي تقوم فيه مدرسة عربية في وطن الجرجاني والتوحيدي وابن العميد؟

لقد ألفت كتابي النثر الفني أول مرة باللغة الفرنسية وأنا في باريس، وكان قلبي يفيض بالحزن الدامي كلما تذكرت أن أكثر من تحدثت عنهم في كتابي كانوا رجالاً نشأوا في بلاد فارس، وأن لغة العرب في تلك البلاد صارت غريبة الوجه واليد واللسان

وكذلك كان حالي حين ألفت كتاب التصوف الاسلامي فقد رأيت أن أرواح التصوف هبت علينا من الأقطار الفارسية

فيا أصدقائي الأعزاء في إيران تذكروا ثم تذكروا وأنتم مسلمون أبرار أن اللغة العربية هي لغة القرآن ولغة الرسول، وتذكروا أن الأمم العربية لها في العالم السياسي والأدبي

والاقتصادي موازين ، وأنها خليقة بأن تزيدكم قوة إلى قوة حين تراكم ترحبون باللغة العربية التي كان لها في بلادكم أبناء وأحفاد وأسباط ...

تلكم مكانة مصر بين الأمم العربية والاسلامية ، وذلكم حظها بين الممالك والشعوب ، وهذا التجاوب الأدبي بيننا وبين من نعرف ومن لا نعرف لم يقع من باب المصادفات ، وإنما هو علامة حب صادق يضمره لمصر من عرف فضلها من الرجال

وأخشى ، والحزن يفعم قلبي ، أن يكون ما ظفرنا به من المجد الأدبي ميراثاً تلقيناه عن أجدادنا النبلاء الذين ملأوا الدنيا بالتأليف والتصنيف وجعلوا مصر تاجاً تزدان به هامة اللغة العربية

أخشى ألا تكون لنا سياسة رشيدة تفكر دائماً في حفظ مكانة مصر بين الأمم العربية . أخشى أن نجهل نعمة الله علينا فننسى أننا أغنى الأمم العربية بالأموال والرجال . أخشى ألا نعرف أن الجهاد في سبيل اللغة العربية هو مجد أبقى على الزمن من الأهرام ومن قصر الكرنك وقصر أنس الوجود

إن اللغة العربية هي التي ستجعل لنا لسان صدق في الآخرين ، وهي التي ستسطر محامدنا على جبين الزمان

والذي أدعوكم إليه هو تجارة لا تعرف غير الربح ، فان كنتم في ريب من ذلك فسيروا في الأرض وانظروا كيف تذكر مصر بالحمد والثناء

إنني أفرض زيارة الشرق على رجلين : الأول وزير المعارف والثاني وزير الخارجية

أما وزير المعارف فهو اليوم معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وليته كان في بغداد كما كنت في بغداد يوم ظهور كتابه عن منزل الوحي . ليته كان هناك ليرى كيف استقبل البغداديون كتابه بموكب لم يعرفه القاهريون . وأما وزير الخارجية فهو اليوم دولة عبد الفتاح يحيى باشا ، وليته يرى كيف يأنس أهل بغداد إلى صوره الكاريكاتورية في الجرائد والمجلات ، إنه لو رأى ذلك لعرف أن مصر لا تعيش وحدها وإنما تعيش في أنس بأصدقائها في الشرق

ولن أنسى اليوم الذي زرت فيه نادي المعارف في بغداد مع سعادة الأستاذ طه الراوي ، فقد رأيت مكتب رئيس النادي يزدان بصورتين كريمتين : صورة الملك فاروق الأول وصورة الزعيم سعد زغلول

ولما زرت النجف أراد أدباؤه أن يقدموا إلى هدية فكانت تلك الهدية هي صورة الرجل الموفق محمد الشباوي بك ، وكان زار النجف واستقبل فيه أكرم استقبال

ولما زرت الموصل رأيت رئيس نادي الجزيرة أحد تلاميذي القدماء فأحسست أنني في داري وبين أهلي

فيا أهل مصر ، متى تعرفون نعمة الله عليكم ؟ ومتى تؤدون للأمم العربية واجب الوفاء ؟

إن الذي كتب أن تكون عاصمتكم عروس الشرق هو وحده القادر على أن يجعلكم أهلا لرعاية العهد وحفظ الجميل

زكي مبارك

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٣ —

ألقاب الإعراب والبناء

جعل النحاة للاعراب ألقاباً هي : الرفع والنصب والجر والجزم ، وجعلوا للبناء ألقاباً هي : الضم والفتح والكسر والسكون ، وقد رأت جماعة وزارة المعارف أن هذه التفرقة دعت إليها الدقة فى الاصطلاح بدون حاجة إليها ، ولهذا رأت ألا يكون هناك فرق بين ألقاب الاعراب وألقاب البناء

ولا يخفى أن ما ذهبنا إليه من إنكار البناء فى العربية لا تتأتى معه هذه التفرقة ، ولكن لا بد فيما ذهبنا إليه من أن يبقى الرفع والنصب والجر والجزم ألقاباً للاعراب ، وتبقى الحركات من الضم والفتح والكسر وما ينوب عنها والسكون وما ينوب عنه علامات لهذه الألقاب . ولا شك أن ما تذهب إليه هذه الجماعة من أن يكون لكل حركة لقب واحد غير جدير بالاعتبار ، لأن هذا قد يمكن فى الإعراب بالحركات ، أما الاعراب بالحروف فلا يتأتى فيه ذلك ، لأنا إذا جعلنا الرفع عبارة عن حركة الضم لم يمكن أن نجعله عبارة عن حرف من الحروف التى تدل عليه ، كالواو فى جمع المذكر السالم ، وكالألف فى المثنى . ومن الاعراب بالحركات مالا يتأتى فيه ذلك أيضاً ، وهذا كما فى جمع المؤنث السالم فى حالة النصب ، لأنه ينصب بالكسرة ، فلا بد أن تكون الكسرة فى ذلك علامة لا لقبا ، لبعد ما بين اللقب والعلامة فيه . وإذا كانت جماعة وزارة المعارف قد وجدت من السهل ألا تفرق بين النصب والفتح فى مثل — رأيت إنساناً — فإنه يصعب عليها ألا تفرق بين النصب والكسر فى مثل — أكلت تفاحاتٍ

الجملة

رأت الجماعة أن تجرى فى النحو على اصطلاح علماء المنطق فتسمى جزأى الجملة موضوعاً ومحمولاً ، والموضوع هو المحدث عنه فى الجملة ، وحكمه الضم عندها إلا أن يقع بعد إن أو إحدى أخواتها ، والمحمول هو الحديث أو المحدث به

١ — ويكون اسما فيضم إلا إذا وقع مع كان أو إحدى أخواتها

٢ — ويكون ظرفاً فيفتح

٣ — ويكون فعلا أو مع حرف من حروف الاضافة أو جملة ويكتفى فى بيان إعرابه بأنه محمول

وترى الجماعة أنها بهذا كله يسرت إعراب الجملة وقللت اصطلاحاتها وجمعت أبواب الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ واسم كان واسم إن فى باب الموضوع ، وجمعت أبواب خبر المبتدأ وخبر كان وخبر إن فى باب المحمول ، وخففت عن المعلمين والمتعلمين برد باب ظن إلى الفعل المتعدى

ونحن نرى أن كلاًّ من تقليل الاصطلاحات وتفصيلها قد يكون يسراً فى العلم وتدوينه ، وقد يكون يسراً فيه ، فيجب أن يصار إليهما بقدر ما تدعو إليه الحاجة فيهما ، وإلا كان الاجمال غموضاً فى العلم وكان التفصيل حشواً لا فائدة فيه ، وهذه الأبواب التى جمعت فى باب واحد ذات أحكام كثيرة مختلفة ، فمن الواجب أن يقتصد فى جمعها ، وقد يؤدى الاسراف فى تقليل اصطلاحاتها إلى عكس ما نرجوه منه

والذى نراه فى ذلك أن يلحق باب كان وأخواتها وباب إن وأخواتها بباب المبتدأ والخبر ، فتجمع هذه الأبواب الثلاثة فى باب واحد ، ويعرب اسم كان وخبرها مبتدأ مرفوعاً[1] وخبراً منصوباً ، ويعرب اسم إن وأخواتها مبتدأ منصوباً وخبراً مرفوعاً لأن الاعراب فرع المعنى ودليله ، وهذه الصيغة الاعرابية المشهورة لا يمكن أن تدل على معنى فى جملة كان وأخواتها وجملة إن وأخواتها ، بل هى صيغة لا معنى لها فى ذاتها ، إذ لا يمكنك أن تفهم معنى لكون اسم كان وأخواتها اسماً لها ، ولا لكون خبرها خبراً لها ، وكذلك الأمر فى إن وأخواتها ، فصاحب الخبر فى قولك : كان زيد قائماً — هو زيد لا كان ، وموقعه فى هذه الجملة موقع المبتدأ المخبر عنه ، فأصدق شىء فى إعرابه أن يقال إنه مبتدأ ، وأن يقال فيما بعده إنه خبره لا خبر كان ،

(١) مذهب الكوفيين أن اسم كان باق على رفعه قبل دخولها عليه

وليست كان في جملتها إلا قيداً نحويا، لأنها تقيد الخبر بمفادها وهو الزمان الماضي، فكأنك قلت في ذلك المثال — زيد قائم في الزمان الماضي[1]

وأمر ذلك في إن وأخواتها أظهر منه في كان وأخواتها، لأن قولك — إن زيداً قائم — لا تفيد إن فيه إلا تأكيد ثبوت الخبر للمبتدأ، فلا يزال المبتدأ فيها مبتدأ على معناه وإن تغير إعرابه، ولا يزال الخبر خبراً له بإعرابه الذي كان له

وليست منزلة هذه الأدوات من المبتدأ والخبر إلا كمنزلة أدوات الشرط من فعل الشرط وجوابه. وأنت حينما تعرب فعل الشرط لا تقول إلا أنه فعل الشرط، ولا تقول إنه فعل الأداة، وكذلك تقول في الجواب إنه جواب الشرط، ولا تقول إنه جواب إن وأخواتها، فاذا أضيف الشرط أو الجواب في بعض الأحيان إلى هذه الأدوات فان ذلك لا يكون إلا على ضرب من التجوز، لما لها من علاقة المجاورة والعمل فيهما، ولا يدل على أمر حقيقي في معنى الجملة

فهذا هو الذي نراه في اختصار هذه الأبواب، قد راعينا فيه ما يجب من مطابقة الاعراب للمعنى، ولم نقصد فيه الاختصار لذاته كما قصدته هذه الجماعة

وعلى ما ذهبنا إليه في ذلك يكون المبتدأ هو الاسم المحدث عنه في الجملة الاسمية، فيشمل ذلك اسم كان واسم إن، ويكون الخبر هو الاسم المحدث به في الجملة الاسمية، فيشمل ذلك خبر كان وخبر إن. وقد ذهب الكوفيون إلى أن المنصوب بعد كان وأخواتها حال لاخبر؛ ويمكن على هذا أن يكون المرفوع بعدها فاعلا لها، ويكون حكمها في ذلك حكم سائر الأفعال، ولا يكون هناك داع إلى تقسيم الأفعال إلى تامة وناقصة

ولا نرى بعد هذا كله في ذلك الموضوع إلا أن يلحق باب النائب عن الفاعل بباب المفعول به وغيره مما ينوب عن الفاعل، فيكون لنا مفعول به مرفوع في نحو — قُضِيَ الأمرُ — ومصدر مرفوع في نحو — فاذا نُفخ في الصور نفخة واحدة — وظرف مرفوع في نحو — سهرت الليلة — وهذا الاعراب أولى من الاعراب المشهور في ذلك، لأن إعراب ذلك نائب فاعل لا يقوم على أساس قوي، إذ ليس في ذلك إلا حذف الفاعل للعلم به أو نحوه مما يحذف لأجله، والمفعول بعد حذف الفاعل باق على مفعوليته، ولا معنى لدعوى نيابته عن الفاعل، بل قد يحذف الفاعل ولا يوجد ما ينوب عنه، نحو — سُقط في أيديهم — وهم يذهبون في هذا إلى نيابة المجرور، ولكنه تكلف ظاهر، وليس من اللازم أن ينوب شيء عن الفاعل عند حذفه، كما لا يلزم هذا في حذف المبتدأ ونحوه

« يتبع » أزهري

(١) قال الصبان: إن تسمية المرفوع اسم كان والمنصوب خبرها تسمية اصطلاحية خالية عن المناسبة، لأن زيداً في — كان زيد قائماً — اسم للذات لا لكان، والأفعال لا يخبر عنها



موت فرنشيسكو فرنشا

مترجمة عن الإيطالية

— ...

يا بنى ! لا جدال فى أن عصر النهضة الايطالية عصر ربيع للحياة الفنية العظيمة ؛ أورق فيه الفن وأزهر ، ونهض الرسم نهضة قوية جبارة ، إذ نفض عن كاهله رماد الموت ، ونفخ فى هيكله روح حياة جديدة ، فجاءنا بكل شهى بهى ، وأسعف ذوقنا بكل رائع خلاب

أوجد من الرجال العظام ومن الرسامين الفطاحل ما يدهش لعده وحصره كل قارئ وكل مؤرخ : رجال أكفاء ، أفذاذ ، فى المناقب والأعمال ، جبابرة في التفكير ، عظماء فى الابداع والخيال

وكلنا مشوق ولا شك إلى دراسة حياة رجالات هذا العصر ، لتفهم طراز درسهم للفن ، وطرق تدرجهم نحو ذروة الكمال والمجد : بعد أن طواهم الردى واحتوتهم الرموس ومن الغريب العجيب كما قال (أوسيان) أننا حين ذكرانا لهم وتتبعنا لخطواتهم ينهضون معاً ويأتوننا مجتمعين ليذكرونا بقيمة فنهم المتحد المشترك ، وبقوة الدهر الذى عاشوا بين أحضانه حتى أصبحوا خير مثل

هناك حوادث كثيرة ، ومناقب طريفة نقلها إلينا تاريخهم العامر المجيد ، قد نظنها عند سماعها إنها من خيال الكتاب أو من تزويق الرواة مستحيلة الوقوع خارقة للطبيعة الواقع . ولكن ها هي آثارهم الخالدة لا تزال تستهوى لبنا بعد أن طواها البلى ، فكيف بها وقت أن كانت فى صبح شبابها الرائع ، وفى عصرها الذهبي الذاهب ؟ !

هناك قصة يهلع لسماعها القلب ويخشع ، هى قصة الفنان العظيم (فرانشيسكو فرانشا) أستاذ المدرسة البولونية اللومباردية ولد فرانشيسكو فرانشا فى أسرة متواضعة فقيرة

* * *

ثم جعله أهله فى صغره عند صائغ فكان الفن الرفيع متجلياً فيما يبدع . ولما شب كان أمراء (لومبارديا) يتقدمون إليه لينقش لهم صورهم على العملة التى كانوا يسكونها . ولم يقتصر الإعجاب به على أمراء بلده فحسب ، بل تعداهم إلى أمراء المقاطعات المجاورة ، فكان هؤلاء إذا زاروا (بولونيا) — موطن الفنان — أوفضوا إليه ليطبع صورهم على اللوحات المدنية ، وينقشها على العملة التى يريدونها ، كما كان يصنع لأمراء بلده وأقيالها

ومع ما بلغه فرانشيسكو من المنزلة السامية والمكانة المرموقة كانت نفسه التواقة تتطلع إلى ذروة أسمى مما وصلت . ولما بلغ الأربعين حولاً ، وجه عزيمته الجبارة لشق طريق جديدة لم يسلكها أحد قبله ...[1] تعتمد على العلم والدراسة والذوق والحس ... وها هو ذا يبدأ بدراسة الرسم ، فيدرس توافق وتراكيب الرسوم[2] ، وتناسب وامتزاج الألوان[3] ، وأثر وقوى النور ، وأساليب رسم المنظور بالطرق الهندسية[4] . فاستطاع بعد هذه

(١) المعروف أن الفن الايطالى أخذ بالنهوض منذ القرن الحادى عشر — وأذا لم نغالي فنقول منذ القرن التاسع — على يد «جاكوبو توريتى» ومن ثم على يد « جوتو » إلى أن يأتى القرن الرابع عشر فنهض الرسم على يد نخبة صالحة كالراهب « أنجيلو » الذى استطاع أن ينفخ فى رسومه روح الوداعة الملائكية ، أو « شيللو » الذي درس المنظور دراسة واسعة « وأندرا كستانيو » و « مزاجو » وغيرهم ... إلى أن يأتى فرانشيسكو وغيره من العظماء الاساتيذ

(٢) أعنى — La composizione

(٣) أعنى — L'armonia

(٤) أعنى — La prospettiva

الدراسة يخط فى مدة قصيرة لنفسه طريقة جديدة فى عالم التصوير: هى المعروفة فى التاريخ (باسم المدرسة البولونية اللومباردية)

اعترى سكان لومباردیا ضرب من الذهول والتعجب حين طلع عليهم فرانشيسكو بلوحاته الجيلة وجاماته البديعة، وكانوا يعتقدون استحالة الجمع بين النقش والتصوير، وخاصة بهذه السرعة العجيبة. ولكن الأمراء لم يسيروا مع ذهولهم ولم تطل ساعة تعجبهم بل راحوا يختطفون ما أنتج من لوحات وما أبدع من جامات ليزينوا بها دورهم وقصورهم كما كانوا يستبقون قبلاً لشراء آثاره المعدنية المنقوشة ...

نال فرانشيسكو فرانشا منزلة سامية فى الرسم لا تقل عن منزلته فى النقش فى وقت كان فيه اسم (رافائيللو سانسيو) العظيم فنان روما وصاحب الحظوة عند البابا، قد سار به الركبان وردده الخافقان. فنجاح فرانشيسكو إذن لا يفسر بخلو المكان وفقدان المنافس، كما أن شهرته فى النقش لم تكن ذريعة للنجاح أو الزلفى إلى الأمراء والكبراء، لأن الكفاية الفنية ليست كضربة لاعب أو رمية رام؛ بل هى ومضة علوية تشع آلاف الأشعة الوهاجة، فتنير من نفسها طريق الفهم وتدلنا على مواقع الاسفاف أو السمو بدون إبهام ولا خداع؛ فنرى بأعيننا آثار هؤلاء الفنانين العظام الذين هم بحق نعمة من نعم السماء

لاشك أن فرانشيسكو كان من ألمع رجال الفن فى عصر النهضة. له كما لهم المنزلة المرموقة فى نفوس رجال النقد والتأليف فى العالم أجمع، لا لشىء إلا لأن هذه الصفوة العجيبة من الفنانين العظام استطاعت أن تشيد على أنقاض الجاهلية الجهلاء صرحاً مكين الدعائم رفيع الأركان فى أفسح ساحات المدينة الفاضلة وفى عالم الفن الرفيع المخلد. وكانت يد فرانشيسكو من أطول الأيدى وأقدرها على رفع الأساطين وتشييد الجدران، فأنتجت وافر الإنتاج وأبدعت غاية الإبداع، وطافت على قصور (لمباردیا) فكستها الجمال، وأكسبتها الفتنة والملاحة. وراحت إيطاليا كلها بعد لومبارديا تذكر فرانشيسكو بكل إجلال وإكبار

كان رفائيللو في روما يرهف سمعه للصدى الخلاب الذى تتجاوبه الأفواه المعجبة. وكان يصغى بقلبه للحديث العذب الذى يتحدث به أهل بولونيا عن فنانهم العظيم، وكان يطرب لموسيق اسم الفنان ويتشوق لرؤية آثاره وطلعته، وقد أسعفه الحظ فرأى ما أعجبه فاتصل رفائيللو بفنان لومبارديا فأطرى طريقته إطراء جيلاً وامتدح أسلوبه وقرظ فنه الحسن العجيب

لقد بلغ فرنشيسكو بحق منزلة رفيعة من لطف الحس ورقة الروح وجودة الأسلوب ودقة العمل، وقد أعجب بفنه كثير من الكتاب، وغالى أحدهم فدعاه إله الفن. وقد قال (كافازونى) إن رفائيللو بعد أن رأى (عذراء فرانشيسكو) تحرر من الجمود الذى علق بفنه من اتباعه طريقة (بروجيا) وخلص من الجفاف الشاهد اليوم على بعض لوحاته قبل تأثره بفن فرانشيسكو. وروح الفنان كالأسفنجة ما جاورت غديراً إلا تشربت من مائه

لم يكن إطراء رفائيللو لفرانشسكو إلا قوة جديدة دفعته إلى الاستزادة، ورأى أن فنه لم يصل بعد إلى المكانة القصوى، واتخذ من مدح رفائيللو له جناحاً جديداً سيساعده على الطيران فى عالم الخلود

كان فرنشيسكو دون سائر الفنانين يستطيع أن ينافس رفائيللو الحظوة التى كان ينعم بها عند البابا وفى نفوس أهل روما، وكان فى قدرة فرنشيسكو أن يبارى رفائيللو فى حلبة الفن ويطاوله فى سماء المجد، ولكن الحظ لم يواته فلم ير لرفائيللو أثراً ليضرب الطريقة التى يسير عليها ضربة قاتلة[1]. كان مقيا ببولونيا لم يبرحها طيلة حياته، وكان رفائيللو مقيا بروما وروما ضنينة به والبابا من أحرص الناس على ملازمته. وكان فرانشيسكو الشيخ يتشوق لرؤية آثار فنان روما قبل إغماضه الغمضة الأخيرة، رغم الفكرة التى استخلصها من وصف الناس لفنه ومن الكتب التى كان يتلقاها منه لماماً، فقدر أنه مثيله فى نواح متعددة، وقد يفوقه فى إحدى النواحى العميقة التى وصل إليها بطول المدة التى مارس فيها الرسم

* * *

جاء البريد يوماً بكتاب من رفائيللو يقول له فيه: إنه أرسل إليه لوحة (القديسة سيشيليا) أعدها لكنيسة (سان جوفانى) بمدينة بولونيا نفسها، وأنه يرسل هذه اللوحة إلى صديقه

(١) يقول التاريخ إن رفائيللو أرسل لفرنشيسكو فرانشا صورة عن لوحة رسمها قبل أن يرى لوحة القديسة سيشيليا (المعرب)

(فرانشيسكو) أولا واجباً منه التكرم بمراقبة وضعها بالمكان الذى أعدت له . وقد يكون السفر الطويل قد أضر بها ، أو ربما يرى فيها بعض هفوات فنية ، فهو (أى رفائيللو) يرجو منه إصلاح ما فسد وتصحيح ما أخطأ فيه . على أن لغة التواضع التى اتبعها رفائيللو فى كتابه إلى صديقه فرانشيسكو وأذن له بأن يعمل ريشته فى اللوحة التى سيرسلها إليه ليتحقق من سلامتها وصحتها؛ كل هذا أثار فى نفسه ثورة متضاربة شديدة من الأخيلة المضطربة ، ولم تسعفه مخيلته فى تصور ماسوف يري ، أو فى تقدير ماسيشاهد من المقدرة الفنية والبراعة التصويرية

وفى عصر يوم من الأيام التى مرت على وصول رسالة رفائيللو إليه رأى تلاميذه يوفضون إليه فرحين مستبشرين يزفون إلى أستاذهم خبر البشرى بقدوم اللوحة المنتظرة ، وكانوا قد أعدوا لها مكاناً حسناً فى المعمل على ضوء كامل

ها هى الدنيا تدور برأس فرانشيسكو الشيخ ... ولماذا ؟ ..

أنى لنا أن نصف لرجال هذا العصر الشعور الذى غمر نفس ذلك الفنان العظيم حين شاهد لوحة أعجبته وملكت لبه ؟! هو شعور أخ فارق أخاً له منذ الصغر ، وارتقب عودته على نار الغضى ... وفى الوقت الذى فتح ذراعيه لعناقه كان أمام ... أمام ملاك سماوى باهر الضياء

خفق قلب الشيخ المسكين وعنا وجهه وخشع أمام جلال الفن الرهيب ، وانحنت رجلاه ساجدتين كأنه أمام كائن سماوى مهيب ...

سمر فى مكانه وتسارع الطلاب إلى أستاذهم يسرون عنه بعض ما حل به ، ولا يفهمون لكل ما حدث سبباً ... أمطروه بالأسئلة والشيخ فى عالم غير عالمهم ...

صحا الشيخ قليلاً ... ولكنه ما زال شاخصاً نحو اللوحة السمائية (لوحة رفائيللو) ينظر وينظر ... وكيف لنا أن نعرف ماذا كان يفكر فى هذه الساعة الرهيبة ؟

لقد تحطم المسكين أمام شعاع العظمة ... وها هو يسائل نفسه بنقمة وألم عن السبيل إلى التكفير عن الجريرة التى اقترفها . إنه لكنود كفور . تطاول على رفائيللو العظيم وغمطه فنه . ولقد خيل إليه عن جهل وطمع أنه صنو له وند ... وقد طفق يعمل أصابعه الواجفة ببصره الأشهب الأشيب وتزرف الدمع سخيناً غزيراً على ما فرط فى جانب الفن . لقد كد وجد فى حياته طمعاً فى المجد ، ولكنه فى الساعة الأخيرة من عمره رأى صرح فنه الفخم ينهار أمام عظمة روفائيللو . تطلع إلى حيث كانت تنظر القديسة المصورة ... إلى السماء وكشف عن قلبه المحطم وصلى صلاة قصيرة طلب فيها الصفح والغفران ...

خانته ركبتاه وضعفت رجلاه عن حمله فسارع تلاميذه إليه يحملوه ...

وكان وهو خارج من معمله ينظر إلى بعض لوحاته الملقة ونفسه تذوب حسرات وألما . وألقى نظرة الوداع على لوحة دفن القديسة سيشلسيا التى كانت لاتزال فى معمله وخرج .

مرض الشيخ ، واصطلحت عليه الأوصاب . وأخذت ذاكرته تخبو ، واستولى عليه هذيان الحمى الأخير ، وراحت تتاده السكرات والغمرات ... لقد خان العقل الجبار صاحبه فى أواخر ساعاته ، ذالك العقل الذى غبر زمناً طويلاً يبدع الوجوه المشرقة ويسوى الأجسام على الأقمشة بالألوان والأصباغ ... واجتمعت تلك الوجوه التى أبدعتها مخيلته السحرية وخلقتها ريشته الصناع دفعة واحدة مع سعير الحمى المتأججة وراحت ترقص رقصة الشماتة والسخرية . وترفل فى ثياب رثة بهيئات مقلوبة ممسوخة ووجوه مشوهة دميمة ، تدق طبول الهلع وتنفخ فى بوق النزع ، وتقرب ما بينه وبين الهوة المجهولة ...

وزاره طلابه يستفسرون عن صحته ... فاذا هو قد فارق الحياة ...

حقاً لقد كان هذا الرجل عظيما ، حينما شعر بالضعف أمام عظمة رفائيللو العلوية ، عظيما عند ماأثر فى نفسه فن رفائيللو هذا الأثر الغريب . إن عبقرية فرانشيسكو فى رأى حكم النقاد والمؤرخين هى فى طليعة العبقريات الفذة ، وآثاره تنطق بأنه راح ضحية النشوة والانفعالات الفنية[1]

(١) زار (ميكيل أنجلو) العظيم صحبة البابا جوليو الثانى مدينة (بولونيا) فلقى فى طرقها ابناً لفرانشيسكو ، وكان صبوح الوجه جميل الخلقة ، فربت على ظهره وقال له : (إن أباك يحسن ولادة الوجوه الحية لا الوجوه المرسومة) فرأى (أنجلوا) كما يرى القارىء يناقض رأى رفائيللوا الذى كان يرى فى فرانشا الفن والذوق والبراعة العظيمة الكاملة

« العرب »

من نسيم الصحراء

إنسانة الحي

للأستاذ ابراهيم العريض

اسْتَمرّتْ ذُكاءُ شا خصَةً من مغيبها
وعلى البيدِ حوْلها أثرٌ من شُحُوبها
صُفرةٌ شابَها مِنَ الــظِلِّ ما يَزْدَهي بها
وكأنَّ الرمالَ في لُجَجٍ من كثيبها
تارةً تَكتُمُ الرسو مَ وطوراً تَشِي بها
وتَوارتْ... فأعْلَنَ الا أفْقُ منْعَى غُرُوبها
ثم أرخَى سُدولَه الــليلُ... تبْدَى بطيبها
فتُطِلُّ النجومُ با سِمَةً من ثُقُوبها
أيُّ طَيْفٍ أثارَ رحْــمتَها في قُلوبها
إنهـــا غادةٌ على موْعِدٍ من حبيبها

***

غادة في وُجومها كالدُّمى البيضِ ساحِرَهْ
من خلالِ الخيامِ تحْــدِقُ في الليلِ حائره
تُطرِقُ الرأسَ كي تسيـــخَ إلى النُوقِ سادره
ثم تُلقِي بطَرْفِهـا حوْلَها كالمحـاذِره
لأقلِّ القليلِ من همَسـاتِ العَباقِره
وإذا قَلَّبَتْهُ تَرْ سِمُ في الأفْقِ دائره
لا ترى في الظلامِ غيـــرَ يدِ الله قاهِره
يُثقِلُ النومُ جفْنَها ثمَّ تخشَى بَوادِره
فتُناجي بكفِّها أنجُمَ الليلِ حاسِره
«جنِّحِي يا عرائسَ الــليْلِ باليُمنِ طائرَه»

***

لمحَتْ شخْصَهُ على تلَّةٍ من تِلالِها
فتَثنَّتْ ... كأنَّها بانةٌ في اعتدالِها
بعْدَ أن نفَّضتْ عباَ ءتَها مِن رمالِهـا
ومشَتْ كالقَطاةِ نا هِدةً في اختيالِهـا
وَهْيَ تُوحِي لصدْرِها خَفَقاتِ انتقالِها
ثم حيَّتْهُ عِندَ نا رِ قِرًى في اشتعالِها
لم يكُنْ حوْلَها ولا واحدٌ من رجالِهـا
وعلى ثغرِها ابتِسا مٌ جزَى عن مَقالِها
فرأى ما يَزِيدُ في حُسنِها من دَلالِهـا
ظَبيــةٌ في كِناسِها ملْء عينَيْ غزالِها

***

طلَعا فوْقَ رَبْوَةٍ رفَّ كالليلِ ظِلُّها
وعلى قُلَّةٍ من الــرمْلِ ضافٍ محلُّها
من وراءِ الخيامِ حيْـــثُ تُرى البيدُ كلُّها
بسَطتْ كفُّهُ الردا ءَ إلى مَنْ يُجِلُّها
خشْيــةَ أن يمَسَّها من ندَى الأرضِ طَلُّها
وهُنـاكَ استَمرَّ في حُظْوَةٍ لا يَمَلُّهــا
لم يعِبْ حُسنَها سِوى أنَّهُ يَســتَقِلُّها

زفر الشيخ (فاسري) زفرة عميقة وهو يقص على فاجعة الفن بموت أبي الفن فرانشيكو فرانشا، ثم أردف قائلاً: عجبي من تلك العقول القاصرة التي تدعى النقد والعلم والتي لا تريد أن تفهم أو التي لا يمكنها أن تفهم سر تلك العبقريات التي أودعها الله سبحانه تلك النفوس العظيمة التي هي ولا شك من طينة غير طينة الناس، وتريد هـذه العقول أن تقول إن كل ما نقل إلينا وما قيل لنا عن هؤلاء الأبطال الجبابرة حديث خرافة أو ضرب من خيال الرواة، وليس هذا غريباً من عقول لا تسمو بطبيعتها إلى عقول هؤلاء الرسل والأنبياء: رسل الإلهام والخيال، وأنبياء الفن والجمال

إنني لآسف يا بني أن تسمع من يقول بوقاحة وصفاقة إن فرانشيسكو فرانشا قد مات بالسم

المترجم
محمد غالب سالم
خريج الاكاديمية الملكية
للفنون الجميلة بروما

ظمأ في لهاته هل لها ما يبلها
غير أنفاس ساعة في الدجى يستغلها
فتعاطى من الحديـث مداماً يعلها

***

ناولتـه يمينها فحنا فوقها الشفاه
هامساً بين قبلتيـن تشفان عن جواه
بلسان مبلبل بعض ما جاش من هواه
واسمها في حديثه دائر دورة الحياه
ثم ألقت بطرفها في فتور إلى الفلاه
فترى في شروقه قمراً مرسلاً سناه
يملأ البيد فضة دونها فضة الفراه
فتناجي حبيبها لو يراه كما تراه
أفيلقي لغيرها باله ... وهي في سماه
إنما في سواد نا ظرها كل مشتهاه

***

ها هما — والنجوم تر عاهما — وهي زاهيه
صورة حلوة لقـرة عين بثانيه
إنها كالرضيع بيـن ذراعيه غافيه
والي الشعر من غدا ثرها في ترابيه
أرج كالنسيم ينـفح من كل ناحيه
كلما سرحت أنا ملها فيه ساهيه
مال من فوقها لينـشدها فيه قافيه
ثم يغزو بثغره ثغرها من حواشيه
فيمس الشفاه وهـي تحاذيه راضيه
ربما تصبح الشفا ه من الحب داميه
تصهر الشمس جمرة الـقيظ في البيد ثانيه
فتبين الرمال بيـن يديها كما هيه
وعلى الرمل حبة من لآل ثمانيه
هي قبل الصباح كا نت على جيد غانيه

«البحرين» ابراهيم العريض

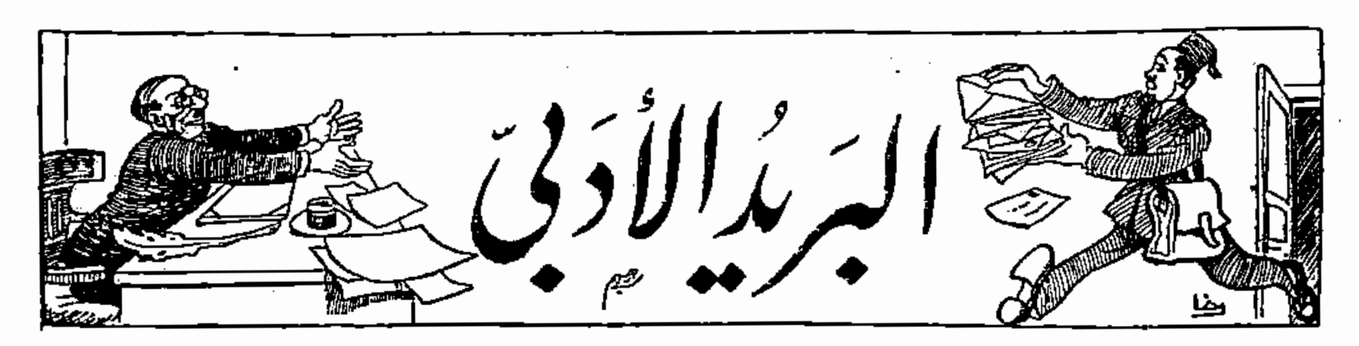
الباحث عن الهدوء ...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« .. وإني لأخشى أن يستمرئ القلق حياتي فيحجبني عنك الهدوء الأخير ! »

لقد نضب العمر إلا شعاعاً يكاد على أعيني يحتضر
يشق إليك ضباب الحياة وينفذ في غيبها المستتر
فيختنق النور في صفحتيه كما اختنقت آهة المنتحر
ويمضي .. عليه غبار الجنون وتهويمة الفارس المندحر
وذل الندى في شغاف الهجير وذل الدجى في ضفاف القمر
وذل السنا في جفون الحزين إذا شاب في مقلتيه السهر
وذل الأماني بقلبي الجريح وقد مزقته رياح الضجر
فلا يلمح النور فوق السهول ولا الظل تحت غواف الشجر
ولا بسمة الجدول العبقري إذا عانقته طيوف السحر
ولا فرحة المرج يوم الربيع تلقاه في لوعة المنتظر
فألقى عليه الهوى والشباب وأحيا لدنياه عيد الزهر ...
سواء لديه مسوح الشتاء وأشجانه في الظلام العكر
وفجر الربيع وقد شاع فيه على صفحة النور فن القدر !
سواء لديه رأى كونه أم ازور عن كونه وانحسر
لقد ذاب فيه خيال الوجود وشرده القلق المستمر
فلا تسأليه هدوء الحياة فقد مات في خاطري واندثر
سلام عليك مع الهادئين وفي قلقي جذوة تستعر
كأني سفاة دهتها الرياح وجن بها عاصف ذو شرر
كأني جنون الهوى في القلوب إذا عاجلتها ليالي السفر
على رعشة الشوق لا أستريح ولا أستفيق، ولا أستقر ..
ألا فازفعي الستر طال العذاب وطالت ليالي الأسى والفكر
وغنيت حتى مللت الغناء وملت عذابي شجون الوتر
ألا أسرعي قبلما يحتويني هدوء البلى في ظلام الحفر !

محمود حسن اسماعيل



فلسطين وصاحب الرسالة

جاءتنا هذه الكلمة الكريمة من صديقنا الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبي فننشرناها نزولا على إرادته. قال شكر الله له :

يُطلّ من مصر كاتبُ العرب وأديبهم الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب (الرسالة) على إخوته الأشقياء البائسين من العرب والمسلمين في هذا الاقليم الشقيّ المبتلَى بالانكليز وباليهود، ويشاهد ما يشاهد — ولا تسلْ عن هول تلك المشاهد — فتُملي على براعته إسلاميّتُه وعربيته وبلاغته مقالته : (يا لله لفلسطين !)

وإنها (والله) لصفحة عربية عبقرية تضاف إلى صفحات له مثلها كثيرات، وحسنةٌ أحمدية حَسَنيّة مضمومة عند الله وفي التاريخ إلى مآثر جمة له وحسنات

وإن (أحمد) لَلمسلم المؤمن يذكّره (كتابُ الله) فيدعو ويقول، وإنه لَلبليغ كل البليغ يجول في ميادين الانشاء والابداع ويصول . وما (رسالته) في مصر إلا رسالة الاسلامية تخدم محمداً (صلوات الله عليه) وقرآنه وأمته ولغته وبيانه و « فيها هدًى ونور »

فحيّا الله أخانا في الدين والعربية، وحيّا ربْعَه، وشكراً له وشكراً لهم، وبارك الله في (مصر) التي وقت حضارة الاسلام والعرب في الأمس، وأعادت ذلك المجد القديم اليوم

محمد إسعاف النشاشيبي

رأي مجلس الشيوخ في الجامعة المصرية

قدمت لجنة المالية في مجلس الشيوخ تقريرها عن ميزانية الجامعة بهذه الكلمة :

ثلاثون سنة انقضت على وضع الأسس الأولى للجامعة قبل أن تتسلمها وزارة المعارف العمومية وتلحق بها تباعاً المدارس العليا فتتكون منها كليات تتألف منها « الجامعة المصرية » الآن وهي كليات الآداب والعلوم والحقوق والطب والهندسة والزراعة والتجارة والطب البيطري . وقد نمت الروح الجامعية وترعرعت وكان لها أثر يذكر في بيئاتنا العلمية والاجتماعية على حداثة عهد هذه المؤسسة عندنا

فالجامعة المصرية بفضل عدد الكليات التي تتألف منها، والدرجات العلمية التي تمنحها، وأعلام الأساتذة الذين يشغلون كراسيها، والروح الجديدة التي أشاعتها في أساليب البحث والدرس، قد أصبحت أداة صالحة لنشر الثقافة العليا، وهيئة كاملة التكوين من الهيئات المائلة في البلدان الراقية

على أننا نطمع في أن تسير جامعتنا خطوات واسعة إلى الأمام من حيث رفع مستوى التعليم، وبث روح البحث والتنقيب في صدور الأساتذة والطلبة رغبة في العلم من أجل العلم، حتى تصبح في القريب من الزمن منارة علم وعرفان يشع نورها في أنحاء هذا الشرق فيقصدها طلابه من كل صوب للاستزادة من التثقيف، كما يقصدون الجامعات المعروفة في أوربا وأمريكا، وكما يقصدون الجامعة الأزهرية للاستزادة من العلوم الدينية، ولا شك في أن النهوض بهاتين الجامعتين لمن أهم العوامل الكفيلة بالاحتفاظ للمملكة المصرية بزعامتها الأدبية والفكرية، بل والسياسية أيضاً بين دول الشرق، فتستعيد سالف مجدها وعزها

وليس بنا من حاجة إلى الافاضة في هذا الموضوع، فان كمبردج واكسفورد في انجلترا، والسوربون والكولج دي فرانس في فرنسا، من أهم دعائم عظمة هاتين الأمتين . ويقال مثل هذا في سائر الجامعات في سائر البلدان . ولعلنا قائلون قريباً مثل هذا القول عن جامعتنا المصرية بالنسبة إلى مصر

المجمع اللغوى وتبسيط قواعد النحو

ذكرنا من قبل أن وزارة المعارف ألفت لجنة من أساتذة الجامعة ودار العلوم ومفتشى اللغة العربية بالوزارة ، وأن هذه اللجنة أتمت مهمتها وهى وضع قواعد لتبسيط اللغة العربية وتدريسها لطلبة المدارس

وقد تلقت رياسة المجمع الملكى للغة العربية كتاباً من وزارة المعارف تطلب فيه من المجمع درس المقترحات التى وضعتها اللجنة خاصة بتبسيط القواعد وموافاتها بملاحظات المجمع على هذه المقترحات . وأرفقت الوزارة بكتابها صورة من قرار اللجنة

وقد أرسلت إدارة المجمع كتاباً خاصاً إلى جميع الأعضاء تبلغهم فيه كتاب الوزارة وصورة مقترحات اللجنة وتطلب إلى كل منهم دراستها وإبلاغ إدارة المجمع ملاحظاته عنها

وقد تلقت الادارة بعض ردود من الأساتذة الأعضاء تضمنت طائفة من هذه الملاحظات ، سترسل إلى وزارة المعارف ، بعد وصول تقارير بقية الأعضاء

مؤتمر تعليمى عربى

فى العرب الدمشقية :

علمت أن وزارة المعارف السورية تدرس فكرة عقد مؤتمر تعليمى عربى تدعو إليه الأقطار العربية كافة ، وقد وضعت الوزارة النقط اللازمة لدراستها والعمل على تحقيق هذه الفكرة

وقد اتصل بها أن الوزارة تفكر الآن فى إرسال بعثة من الطلاب والأساتذة إلى العراق لزيارة القطر الشقيق وأخرى إلى القطر المصرى لتبادل الزيارات بين الأقطار العربية وتوطيد العلائق والروابط بينهما

تأثير اللاسلكى فى اللهجات

جاء فى نشرة هيئة الاذاعة البريطانية الأسبوعية للاذاعة العربية ما يلى :

بين الأحاديث التى يتناولها برنامجنا لهذا الأسبوع حديث الأستاذ حيدة الذى سيعالج فيه مسألة السينما واللاسلكى وتأثيرهما فى مختلف اللهجات . والموضوع من حيث فكرته ليس بالجديد فى أوربا فقد شغلت هذه المسألة بال علماء اللغة فى انكلترا منذ أن استهدفت اللغة الانكليزية لخطر النطق المبتور والتعبيرات المهلهلة التى بدأت تتسرب إليها عن طريق بعض الأفلام الأمريكية . ولا غضاضة — فى عرفنا — أن يكون كل من السينما الناطق واللاسلكى أداة لتقريب اللهجات المختلفة ، فمصلحة أبناء اللغة الواحدة تقضى بأن يفهموا جميع لهجاتها . ولكن هل من مصلحة أمة تتفاوت فيها اللهجات كالأمة العربية مثلا أن تتكلم لغة واحدة ؟ وإذا كانت المصلحة تقضى بذلك فأى اللهجات ستختار ؟ هل تختار يا ترى اللهجة الحجازية أو العراقية أو لهجة مصر أو الشام ؟ أو هل يمكن النهوض بالتعليم إذا تكلم جميع أبناء العربية اللغة الفصحى ؟ هذه هى المعضلة التى تجابه فى انكلترا أنصار توحيد اللهجات فاللغة الانكليزية تشمل عدة شعوب وأقوام كل منها يتكلم لغته الخاصة وإذن كان من الصعب التوفيق بين هذه اللهجات المتنافرة ؛ وطبيعى أن تثير هذه المسئلة اهتمام هيئة الاذاعة البريطانية فسعت لحلها بطريقة من شأنها الاحتفاظ بكرامة اللغة الصحيحة مع عدم المساس بلهجاتها المحلية فهداها البحث إلى الاستعانة برأى لجنة استشارية مؤلفة من أعلام اللغة الانكليزية أسندت إليهم مهمة توحيد النطق ووضع قواعد له وقيدت مذيعيها باحتذاء هذه القواعد فى إذاعتهم للأخبار والبيانات . واحتفظت فيما عدا ذلك باللهجات المحلية المختلفة وبذلك أمسكت العصا من طرفيها — على حد التعبير الغربى — على أن هذا الحل الوسط إذا أرضى مستمعى هيئة الاذاعة البريطانية فانه لا يعتبر حلا كاملا لهذه المسألة الدولية التى ما زالت مدار بحث جدلى بين العلماء

حول لجنة من لجان الوزارة . .

حمدنا لوزارة المعارف عنايتها باللغة العربية والعمل على إنهاضها وتقوية أركانها ، ووضع ما يضمن للتلميذ حياة أدبية خالصة تقوم على العلم الصحيح والمعرفة الحقة بأساليب الأدب وضروبه ...

وكنا نرقب مع الراقبين ما تطالعنا به اللجنة المؤلفة من أعلام وزارة التربية والتعليم لمعالجة مشكلة لغة الضاد ، وما يجده الطالب من صعوبة فى تفهم ما فى بطون الكتب من معان وأفكار

وقد قامت اللجنة بوضع المبادئ التي رأتها صالحة لتقوية الناحية الأدبية من نفوس النشء ، واعتمدت في عملها هذا على ما لها من خبرة واسعة بالتعليم وشئونه ... بيد أن هناك ملاحظة بخصوص الكتب الحديثة التي اختارتها اللجنة على أنها صورة من أدب العصر ، تدرس في معاهد العلم . وقد وقع اختيارها على الكتب الآتية : « قصص القرآن . ويوميات نائب في الأرياف وديوان الجارم . والنظرات . وزينب . وعلى هامش السيرة . والأيام . وديوان حافظ . والفضيلة . والمختار (الجزء الأول) . وحياة محمد . ومطالعات في الكتب . وديوان شوقي . والمثل الكامل . وقادة الفكر . وعلى هامش السياسة . وحصاد الهشيم وضحي الاسلام . وديوان البارودي . وابن الرومي »

وفي ذلك الاختيار كثير من التجني على الأدب والأدباء؛ فليس من الخير في شيء أن تختار اللجنة كتابين أو ثلاثة لأديب واحد في الوقت الذي أغفلت فيه طائفة من الأدباء الأفذاذ الذين لهم أثر ظاهر في توجيه الحياة الفكرية في الشرق ، ولهم أيضاً أدب يمتاز بقوة العبارة وسمو المعنى وجمال اللفظ ...

وبعد فهذه ملاحظة أردنا أن نسوقها إلى أعضاء اللجنة ، وإليهم يساق الحديث

بني مزار الطهرناوي

(الرسالة) جاءنا في هذا الموضوع طائفة من الرسائل وكلها مجمعة على أن اللجنة لم ترع جانب الحق حين قصرت اختيارها على كتب أعضائها ومن ترجوهم أو تخافهم من الأصدقاء والرؤساء ...

حقيقة جامع طوكيو

كتب العلامة السيد سليمان الندوي في مجلة « المعارف » التي تصدر عن أعظم كره (الهند) في عددها الصادر في شهر يونية حقيقة جامع طوكيو ما يأتي :

« نجم قرن الاسلام في اليابان وأخذت أشعته تنبسط في عواصمها — فأسس أول بيت لله في مدينة كوبى ، وذلك قد تم بفضل التجار الهنود . وكان أولو الأمر بهذا المسجد قد سعوا لدي الحكومة اليابانية راجين منها أن تعترف به معبداً للمسلمين رسمياً ، فذهب سعيهم سدى ؛ بيد أنهم أرسلوا هذا العام وفداً من أعضاء لجنة التنظيم للمسجد إلى طوكيو عاصمة اليابان بفضل مساعيهم زال بعض العراقيل من أمامهم

وبعد تشييد الجامع بكوبى شعر المسلمون في طوكيو بحاجة إلى مسجد ، لكنهم جماعة قليلة العدد ولا يتيسر لهم أن يجمعوا مالاً كافياً لبناء هذا المسجد بها ، ففطن بعض رجال الحكومة اليابانية إلى أهمية عمل هكذا في عاصمة اليابان . ثم لجمعوا من ذوي الخير والسراوة نحو مليون وربع مليون (ين) وبنوا بها جامعاً ومدرسة بجانبه . تم بناء الاثنين وافتتحا رسمياً في شهر مايو الماضي ، وأدى رسم الافتتاح المستر « تویاما » من دهاة اليابان وهو الذي دخل المسجد أولاً ومشى بقدميه قبل الناس فلحقه التتار داخلين مكبرين ، ثم صلوا ركعتين شاكرين ، وكان بخارج المسجد سرادق نصب للاحتفال خطب فيه دهاة اليابان وأكابر المندوبين من البلاد الاسلامية . وكان الأمر الذي يبدو عجيبا للمسلمين الحاضرين أن مندوبي أفغانستان وتركيا وإيران لم يحضروا الحفلة ؛ ولعل سبب ذلك أن هذا المسجد ذو صبغة سياسية

يقيم في طوكيو زعيم تتاري معروف باسم قربان علي ، له مكانة ممتازة نصفها من لون ديني والنصف آخر من لون سياسي — وله جماعة من الأنصار من التتار عدتها خمسة وعشرون رجلاً ، وغيرهم من التتار المقيمين في طوكيو وغيرها من مدن اليابان وعددهم يصل إلى خمسمائة على التقريب — كانوا يشكون منه مر الشكوى — فاعتقل لذلك في وسط مايو وفوضت الزعامة إلى الشيخ عبد الرشيد ابراهيم فزال بعض العراقيل التي كانت تؤدي إلى عدم تعاون التتار مع رجال الحكومة في شأن المسجد. ثم أرسل رجال طوكيو دعوتهم إلى المسلمين بكوبى يرجون اشتراكهم في أمور جامع طوكيو ؛ غير أنهم أجابوا : « نحن مستعدون للاشتراك إذا كان للمسلمين حرية مطلقة في تصريف أموره » . فوعدهم رجال الحكومة اليابانية بذلك وها نحن أولاء ننتظر الوفاء ... »

بدر الدين الصيني

تأديب الناشئة بآداب الدين الإسلامي

أذاعت وزارة المعارف منشوراً على نظار المدارس هذا نصه:

«تحرص وزارة المعارف على أن تكون دراسة الدين الإسلامي مقصوداً بها تأديب الناشئة بآدابه وإحساسها الإيمان الصحيح والخلق السليم، وأن المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وتهذيب نفس الناشئ وتقوية عقله وقلبه بالمبادئ الإسلامية السامية مبادئ الإباء والأنفة والمحبة والإيثار والبر والتقوى ليصل بذلك إلى كمال الخلق وليحصل منه القواعد السليمة لصلاته بغيره، وهذه قواعد لحضارة إنسانية يقوم النظام الروحي والحيـاة لـكمال الخلق ويكون الخلق فيها أساساً للمعاملات فيها أساساً الاقتصادية.

وتثبيت هذه القواعد فى نفس الناشئة بتفقيهم فى قواعد الاسلام وعباداته وتوجيههم إلى إدراك الحياة على أساسها إدراكا علمياً دقيقاً وتفتح أذهانهم بذلك إلى المثل الأعلى الذى يدعو الاسلام إليه وتقويم أخلاقهم ليكون هذا المثل الأعلى غايةمبتغاهم، هو ما نرجو أن يكون الثمرة للتعليم الدينى فى المدارس حتى يتأتى لمصر بقوة إيمـان أبنائها أن تنهض بحظها من رسالة الحضارة فى العالم»

جامعة عليكرة الإسلامية

جاء من مراسل الشرق العربي فى بمباي أن عظمة نواب رامبور قرر أن يساهم بمبلغ كبير فى توسيع نطاق جمعية الطلبة فى جامعة عليكرة الاسلامية التى يشملها عظمته برعايته

وجامعة عليكرة فريدة فى نوعها فى العالم الاسلامى؛ وقد أنشأها السير سيد أحمد خان وهو أول مسلم أذاع فوائد الثقافة الغربية فى بلاده، وحاول التوفيق بين هذه الثقافة والثقافة الاسلامية فى الهند. وبفضل مساعيه قررت الحـكومة الاشتراك فى جامعة عليكرة، ولا تزال إلى الآن تدفع لها إعانات مالية تخليداً لذكرى سيد أحمد خان

وكان المرحوم حميد على خان والد عظمة نواب رامبور من الذين شملوا الجامعة برعايتهم، وكانت الجامعة فى ذلك الوقت تدعى المدرسة الاسلامية الانكليزية الشرقية

ومساهمة عظمة نواب رامبور السخية فى توسيع جمعية الطلبة جاءت الآن برهاناً جديداً على أهمية اتحاد الطلبة وهو أقدم اتحاد فى الهند اشترك فيه عدد كبير من الأشخاص البارزين والطلبة يتمرنون فى هذا الاتحاد على الخطابة وغيرها من العلوم والفنون والاتحاد يتمتع باستقلال خاص والطلبة ينتخبون رؤساء الاتحاد ولجانه. وقد تألفت فى جامعة عليكرة جمعيات عدة تعنى بالدروس الدينية الاسلامية ويلقى فيها كثيرون من الطلبة القدماء محاضرات نفيسة فى الشؤون الاجتماعية والدينية

وقد أنشئ أخيراً فى الجامعة فصلان جديدان لتدريس الشرع عند الشيعة والسنيين ويدير هذين الفصلين فرع الشريعة فى الجامعة

وكانت الصلاة فى الجامعة تفرض على الطلبة بموجب قانون خاص ولـكن هذا القانون لا يعمل به الآن نظراً إلى اهتمام الطلبة بشؤونهم الدينية من تلقاء أنفسهم

اعادة الحياة بعد الموت

لقد دفع حرص الناس على الحياة منذ العصور القديمة بعض العلماء إلى محاولة إعادة الحياة إلى الأجسام بعد أن تفارقها أرواحها. وزعم فريق منهم أنهم قاموا بتجارب رجحت إمكان وصولهم إلى ما يبتغون. ولعل أحدث تجربة من هذا النوع هى التى قام بهـا الدكتور روبرت كورنيش أحد أطباء كاليفورنيا ولـكنه لم يجرها على إنسان بل على كلب

وطريقة ذلك أنه خدر الـكلب بالـكلوروفورم ثم قتله به. وبعد أن تأكد أن الـكلب أصبح جثة هامدة انتظر بضع دقائق ثم حقنه فى القلب بمـادة الادرنالين ومدده على مائدة فى الهواء

الطلق . فبعد دقائق لاحظ أن القلب عاد يعمل وأن دقاته بدأت تعود إلى حالتها الطبيعية

وبعد بضع ساعات استطاع الكلب أن ينهض وأن يلعق بعض السوائل؛ وبعد عشرة أيام استطاع أن يتناول طعاماً ، ثم يحرك رجليه بضع خطوات

ولكن الدكتور لاحظ أن الكلب لم يستمد قواه الذهنية وأنه فقد الكثير من حساسيته ، إذ أصيب بالصمم فلم يسمع صفيراً حاداً كما فقد حاسة الشم ؛ وضعف نظره ضعفاً شديداً فكان لا يرى إلا المرئيات القريبة الكبيرة الحجم كما أن صوته ضعف فأصبح لا يقوى على النباح

وظل الكلب يعانى هذه الحالة ثلاثة شهور ثم فاضت روحه من الضعف الشديد الذى أنهك جسمه

على أن الدكتور روبرت كورنيش يزعم أن هذه التجربة التى قام بها تعتبر الأولى من نوعها من حيث نتيجتها ، كما أنها مكنته من ملاحظة حالات سيسترشد بها فى التجارب القادمة التى اعتزم القيام بها

وبالرغم من أن بعض العلماء يرجحون إعادة الحياة إلى الأجسام التى تفارقها أرواحها، فهم يشكون فى إمكان إعادة الحساسية إلى الأعضاء والقوة إلى الذهن . وأقصى ما يطمعون فيه هو أن يطيلوا خفقان القلب بضع ساعات يتمكنون فيها من القيام ببعض الأبحاث العلمية